

«إِنَّ رَسَالَتَنَا هِيَ أَنْتُمْ مَكْتُوبَةٌ فِي قُلُوبِنَا. وَقَدْ
كَبَيْتَ لِإِعْدَادِ بَلِّ سُبُوحِ اللَّهِ الْحَيِّ» (٢٠١: ٢٠٢)

الرسالة

لأبناء

الرهبانية الباسيلية المخلصية

نشرة خاصة

تعتبر كخطوط

السنة الثالثة * الجزء الخامس * ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٦

مطبعة دير المخلصين
صيدا لبنان

لا بدل معين الا ما يسخر به تلامذتنا القداما واصدقاؤنا الاماجد

امثال لافونتين

كتاب مؤلفه الفرنسي غني عن التعريف فهو اقدر من جمع في المثل بين لذة القصص ولذة الشعر ورفعته الى مستوى القصائد الخالدة . تناولته براعة شاعرنا الكبير الاب نقولا ابي هنا المخلصي فأخرجته مثلاً لجودة التعريب باختيار الالفاظ وحسن السبك وشائق النظم ومجازاة الاصل اقرب ما يكون اليه مع خلاصه من شوائب العجمة مما دل على مقدرة عظيمة وجعل الكتاب جم الفوائد الذيذ المطالعة يندر ان يجتمع في سواه ما اجتمع فيه من المحاسن الكثيرة ، فالصغير يجد في صورته وحوادثه المروية على السنة الحيوانات تفكحة لذهنه والكبير يستفيد العبر للحياة هذا الى ما يتذوقه الاديب فيه من جمال الصنعة ولذة المقابلة . وحسبك ما قال خليل بك مطران لمعربه ، في مقدمة الكتاب : « . . وانه ليسرني ان أقول لكم صادقاً انكم قد وقّتم الى ما اردتم ما يتيسر التوفيق ، ودانيتم الاصل ما تمكن المداناة . وهذه منزلة من الادب تهنأون عليها ويحق لو كان للفخر مجاز الى طبعكم ، ان تفاخروا بها اكبر الشعراء . وانتم اولي البيان »

والكتاب من ستة اجزاء . يجمع ما يقرب من المئة والعشرين مثلاً مطبوعة على ورق صقيل جميل الشكل ، يسق كل مثل منها صورة تفيد معناه ، مذيبة شروح وافية « لغوية وتاريخية وميثولوجية » .



الملك الرحمان اور سمندريت باسيلوس شجادة ب م
الرئيس العام السابق

الرسالة

ايلول سنة ١٩٣٦

السنة الثالثة الجزء الخامس

الفصل الرابع والثلاثون

من تاريخ رهبانيتنا (تابع)

بقلم الخوري قسطنطين الباشا ب م

في غيرة المطران واهتمامه بالكنائس

لا ينبغي للقارىء ان يظن ان في هذا العنوان مبالغة بتحملي ما اختص به رسول الامم بولس الرسول . لكن الحقيقة التاريخية لا تدع لنا مجالاً للشك في حقيقة ما نقول كما سيتضح ذلك من سياق هذا التاريخ ولا سيما هذا الفصل الذي عقدناه بوجه خاص لبيان هذه الحقيقة بالبينات الشافية التي لا سبيل الى الشك فيها على ان الغيرة الدينية الخالصة لوجه الله لا تدع الاسقف الصالح يقف عمله واهتمامه ضمن حدود ابرشيته وان كانت القوانين الكنسية لا تبيح له ان يستعمل سلطانه خارجاً عنها لان هذه القوانين ترتبت لحفظ نظام الكنيسة العام من التشويش ولا تمنع الاساقفة من الاهتمام بصالح المؤمنين الذين هم رعية المسيح جباً له ايما كانوا . بل ان هذا من خاص واجباتهم الاسقفية كما

يتضح الامر من غاية اجتماع الجامع في الكنيسة التي تنعقد بهم دون سواهم للاهتمام بنظام الكنيسة العام وبصالح الابريشيات من رعاة ورعية كلما اقتضته الحال . وكما ان سلطتهم رسولية باصلها ومبداها حسب التقليد الرسولي المقبول في الكنيسة كلها كذلك يجب ان تكون غيرتهم رسولية فعلاً بحق كل رعية المسيح وجميع المؤمنين اينما كانوا

وهذا كان شأن المطران افثيموس . وهذا غاية قصده باانشاء دير المخلص والرهبانية المخلصية . نعم انه انشاء لاقامة الرهبان فيه لكن غاية قصده بالرهبانية خدمة الكنيسة الكاثوليكية في كل الابريشيات . ولذلك كان يقبل في الدير من اول امره انساناً من كل الابريشيات من الذين يكون ايمانهم نظير ايمانه ونيتهم نظير نيته واعمالهم نظير اعماله لكي فيما بعد تكون اعمالهم الرسولية في ابرشياتهم الخاصة ناجحة تمام النجاح اذ لا يقل الحديد الا الحديد ولا يصلح الرعية الا رعاتها الصالحون . ولذلك كان جل اهتمامه من اول امره بالمطرائية ان ينتخب اساقفة صالحون من تلاميذه او من اصحابه الذين نيتهم نظير نيته وايمانهم نظير ايمانه . ولنا اجل دليل على ذلك رسالة البابا الكلنضوس الحادي عشر التي كتبها له ذاكرأ فيها ما بلغه عنه بهذا الشأن مما استحق لاجله هذا المديح الفائق الذي هو لا محالة شهادة حق وصدق لا مرية فيها ولا

مبالغة . وهذا تعريبها عن اصلها اللاتيني^١

البابا اكلنضوس الحادي عشر

ايها الاخ الموقر سلام بالرب . . .

ان عاطفة المحبة المسيحة وما علينا من الاهتمام بجميع الكنائس يجعلنا لا نفرح في الرب بشي . اكثر مما نفرح عند معرفتنا ان الرؤساء الدينيين مساعدينا في بعض ذلك الاهتمام يقدرون سمو وظيفتهم ويفرغون جهدهم في القيام بها على الوجه اللائق . لذلك اذ انتهت الينا اشياء كثيرة عن تقوى اخوتك المحترمة وغيرتك على مجد الله وخصوصاً عن حميتك الفريدة في سبيل الدين الكاثوليكي حسبنا من الواجب علينا ألا نتعافل عن التصريح لك بما نالت هذه الاشياء من استحساننا بل ايضاً ان نهشك بروح ابوي خالص على ما جمعه فيك فاديننا من جزيل المواهب العظيمة . ولقد تحققنا في هذا الامر صحة ما قيل من ان صيت الصالحين ينتشر كعرف طيب الى الشعوب القاصية . فان شهرة فضيلتك الكهنوتية لم يمكنها ان تجس في حدود سورية بل قد بلغت الى الامم البعيدة جداً والينا نحن الذين على بعدنا من تلك الاقطار لم يفضلنا عنك بعد الامكنة .

(١) نشرنا هذه الرسالة سابقاً في اللمعة التاريخية . بتعريب الاب روفائيل راهبة ولم يزل عندنا هذا التعريب بخط يده . وبعد ما وقفنا على اصلها اللاتيني في سجلات مجمع انتشار الايمان نقلناها واعدنا تعريبها بعناية حضرة اخينا الاب غريغوريوس فرحات ونستعني بهذا التعريب الجديد المدقق عن نشر الاصل بنصه اللاتيني ولا غرو اذا اختلف لفظاً هذا التعريب الجديد عن القديم ولا ريب بان هذا التعريب الجديد اوضح عبارة واكثر دقة

وفي الحقيقة انها نعمة من الله كبيرة ان يعرف الاسقف حينما كان ان يُقدم على كل شيء خلاص النفوس التي اؤمن عليها . واما الذي يقيم مع غير المؤمنين وبين مخاف المشاقين والمهراطة الكثيرة ويدبر ويسوس كنيسته بحيث يحفظها جهد المستطاع من مكاييد الذئاب ويجامي عن سلامة الايمان بل يسعى في غوه ونشره فهذا لا بد ان يكون رجلاً مزداناً بفضيلة سامية فريدة . وبناء عليه ان الواجب يقضي علينا بان نوليك - ونحن نوليك - ما يحق لك في الرب من المديح ، لما بلغنا عنك من جميلك في اقام هذه الاشياء واشياء اخر كثيرة تتعلق بامور كنيستك ، محرزين اخوتك ان تثابر على السعي التقوي الذي بدأت به ، وتحقق بثباتك في الفضيلة والغيرة ما قاله الحكيم عن سبيل الصديقين بانه يتقدم ساطعاً كالنور ويتدرج في ارتقائه الى رابعة النهار ، وان لا تقنع بما لديك من الاستحقاقات بل ان تتقدم ابداً الى ما هو ابعد .

وما بسطته لنا في رسالتك فقد احلناه بحسب العادة على مجمع اخوتنا الموقرين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة المفروض اليه قضايا انتشار الايمان لينظر فيه ومنه ياتيكم الجواب الموافق لكل مطالبك . واخيراً نشكرك على هديتك قارورة البلسم التي قبلناها بطيبة النفس وبغاية الرضى كعربون على خضوعك البنوي المخلص لنا . وانا لقاء ذلك نحن مستعدين بل راغبون ان نوليك دلائل محبتنا الابوية وبرهاناً عليها بمنح اخوتك الآن بمنتهى الحب البركة الرسولية .

اعطي في رومة قرب الكنيسة المريمية الكبرى في ١٥ تموز سنة ١٧١٣

ويجب علينا ان نضيف الى هذه الرسالة الخبرية السامية رسالة من المطران نفسه كتبها الى مجمع الانتشار جواباً على رسالة وردت منه مع رسالة الخبر الاعظم السابق ذكرها وهي اشبه بتقرير عام يشتمل على بيان احوال جميع ابرشيات البطريكية

الانطاكية ومطارنة كل واحد منها . فهي اذاً وثيقة تاريخية شائعة ونادرة . نستدل منها على عظم اهتمامه بهذه الابريشيات وعلى معرفته باحوالها واحوال مطارنتها وتدلنا ايضاً على اهتمامه بطائفة السريان والموارنة كما تدلنا على نفوذ كلمته لدى وزراء الدولة في صيدا . وقد اكتسب هذا المقام العزيز النادر عندهم ليس لنباهته وورصاته وحسن سمعته فقط بل ايضاً لعنايته بهم وبمراضهم بحكمته وكان يرافق عمله هذا غالباً النجاح والشفاء باذن الله وحسن توفيقه كما ذكر هذا عنه احد الاباء الفرنسيين المعاصرين له وهذا نصها نقلاً عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان ' ما نقله سيادة مطران صيدا كير نقولاوس نبعه كافاه الله خيراً

ساداتنا الكلي الشرف والنباهة الكرديناية المعظمين زيدت فضائلهم بعد وصول مشرفتكم التي وردت الينامع القسيس عبد الاحد السرياني المتضمنة محبتكم واكرامكم لنا بعد ستة سنين من مكتوبكم السابق فكما ان الارض العادمة المطر منذ سنين كثيرة تفرح بورود المطر وتخصب هكذا كان فرحنا الذي بعد ستة سنين ورد الينا مكتوبكم . وكما انكم تفرحوا في تعبنا في كرم المسيح كذلك نحن تفرح في خدمتنا اذا كانت مقبولة من جمعكم المقدس . اما من جهة ابرشيتنا بنعمة الله نامية مزهرة بجقائق الايمان . وان سالتكم عن ابرشية انطاكية واحوالها فانها ارض صالحة بدها فلاحين نسال رب الكرم ان يرسل فعلة لكرمه . وها نحن نوصف لسيادتكم اسافتنا فرداً فرداً .

اولاً البطريرك كير كيرلس (الخلي) فهو رجل عادم العلم لكنه صاحب

عقل وتميز . وكان له بغضة عظيمة للكنيسة (الرومانية) والان هو في الوسط
يتنظر الحال لما بطريرك القسطنطينية وبطريرك الاسكندرية يطعموا هو يطعم .
وبقربه اسقف صيدنايا شامي (جراسيموس) رجل على باب الله . قداسه
برطل نبيذ . وما دام النبيذ في قلايته المسيح راضي عليه
وبقربه اسقف معلولا وقارة رجل رومي من جزيرة قبرص هرطوقي لا يعرف
من دين المسيح غير معاندة الكنيسة .

وبجانبه اسقف بعلبك فهو قبرصي سالم من الغرض ان اسعده الله في معلم رجا
يوافق بكلمة نبيذ

ويليه اسقف حمص عاجز بالدين والدنيا

وبعده اسقف حماه رومي من قبرص قوي بالكفر وبسب الدين للكنيسة ولنا
ومن ستين حضر عندنا في اشغال له فاكرمناه واعطيناه احسان وافر ونصحناه
بقدر الامكان . ومنذ ذلك اليوم ابطل المسبات لكنه باقى على كفره

وبقربنا مطران بيروت من اولادها (سلفستروس الدهان) فهذا كان
سابقاً يصدق بالكنيسة (الرومانية) ويكرم ويمجد كنيسة الروم ولاجل ذلك
اسدينا اليه بعض احسانات وطلبناه الى صيدا فحضر لعدنا مرتين وعرفناه
النقص والغلط الذي وقعت فيه كنيسة الروم بعد الانشقاق . ومنذ ذلك الوقت
الى الآن صار على الاستقامة ويشهد بدين الله بقلبه وفمه . وربما يوجد في
ابرشيته بعض اشخاص كهنة ورهبان وعوام الذين ميلهم الى الحق . وانما الحق
بده مجاهرة حتى يتقوى ويرتفع شأنه

واما مطران طرابلس (مكاربوس) كان سابقاً شهد لنا بعض رهبان من
المرسلين انه كاثوليكي . واما انا عبدكم ما تشعت له علامات الكاثوليكية .
وربما يكون اقر بالحق تحت رجا . . . ولما انقطع الرجا . منكم عاد كالكلب
الى قيئه . وعنده في مدينته بعض اشخاص اعوام قليل بقولهم (عن نفوسهم
انهم) كاثوليك يصدقوا الله ويكرموا البعال

وفي مدينة اللاذقية مطران صافزلي ارطوقي جاهل بالدين . وبالمهرطقة ينبح ويقروش من غير وعي .

وبعده بطرك في حلب (اثناسيوس الدباس) معروف عندكم بانه كاثوليكي ومعروف عندي بانه مساقل (مداهن) . واما اقنومه (الايكونوموس) فهو صاحب معرفة وحافظ طقوس الروم بالكمال ومؤيدها وناصرها . وفي السنة الماضية ألف رسالة ضد رياسة البابا سيدنا فارسلت اجيبها من حلب فاجابوني انه اخفاها .

ورايح من حلب مطران ادنه من اولاد قبرص رجل عتي عدو الله وكنيستته
وبعده مطران ديار بكر كذلك قبرصي

ومطران ارزروم من اياتها

ومطران القرص من اياالة ارزروم

فهذان المذكوران ما عرفا من دين الله الاموم الروم

واما الكرج فقد ارتفعت يد بطاركة انطاكية عنهم منذ زمان طويل من جهل البطاركة وعجزهم وعدم تدبيرهم . بل الاولى ان يقال لما عصوا ووجدوا الطاعة لراعيمهم الحقيقي عصيت رعاياهم عليهم . والان ما بقي لبطاركتنا عليهم غير توزيع الميرون نرسله لهم وهم يرسلوا خدمة (مبلغ من المال) صورة هدية لان الميرون ما يعمله الا البطاركة عند الروم . واما احوال الكرج فتوجع القلب لما نسمعها من فهم في حال اجتيازهم في صيدا وهم رايمين لزيارة القدس . ولو يكون لي قوة كنت ارسل من عندي رسل لترجيع اولئك الشعوب لدين الله . ومثل ذلك بقربنا اهل بلاد الكرك الذين في طريق الحجاز . ويقربهم بلاد بني كنانة منهم نصارى كثير تحت يد بطركية القدس ولعدم المعلمين صاروا اشر من . . . وحضر لعندي اناس كثيرين منهم ويشتهوا معلم . وكذلك اهل بلاد

حوران طلبوا مني معلمين وبلاد كورة طرابلس طلبوا مني اناس معلمين

عبدكم الداعي المطيع افثيميوس

مطران صور وصيدا

ملحق

انما يدي قصيرة معلومكم لان الرجال تريد كفايتها . نطلب من الله

المساعدة .

وان سألتم عن طائفة السريان في حلب وبين النهرين فانهم على حالتهم وبغورهم (غيهم) يزيد بسبب انهم يُعضدوا بالارمن عند المسلمين على كل من يقول بالكنيسة المقدسة . وعلى زعمي انه بعيد جذبهم الى الحق بطريق التعليم لانهم عتاة . وانما بطريق القوة اقرب تناول ولاجل ذلك من اربعة سنين الحصرة في قلبي لكي يكون عندي واحد من اساقفة السريان او من قسوسهم الذي يكون له قلب وفهم (قادر) ان يضبط طائفته لكي اسعى في اقامته في كرسية لان في هذا الزمان ضبط ولاية صيدا لثلاثة وزراء مكرمين وهم خليل باشا وعثمان باشا والان يوسف باشا وصار بيننا وبينهم صداقة كريمة . فاخراج امر سلطاني الى قسيس نصراني على طائفة من طوائف النصارى شي قوي هين علينا عند احد هؤلاء الوزراء المذكورين بل حمايته دائما ان اعطانا الله الحياة .

وان سألتم عن طائفة الموارنة فانهم عملوا غلطة عظيمة في الاشاعة التي اشاعوها على بطركهم يعقوب (عواد) حتى ان صار اسم النصارى في بلاد الساحل والشام هزء ومضحكة للمسلمين واليهود والدرروز . والحال اننا فتشنا ودققنا واستخبرنا من كهنة ومشايخ الخوازنة واعوام الرعية فوجدنا القضية اشاعة اشاعوها على البطريرك المذكور بشهادات ركيكة خاملة قاضي المسلمين لا يثبتها على يهودي لان مضمونها فلان قال فلان وفلان قال فلان . وقد صح عندي بعد الفحص انها تعصبات واغراض . ولو فرضنا ان قضيتهم لله وخالية من الغرض

(١) مراده ان هذه الاشاعة مبينة على شهادة فلان عن فلان عن فلان .

(٢) راجع بشأن هذه الدعوى ما جاء عنها في سلسلة بطاركة الموارنة التي نشرها رشيد الشرتوني سنة ١٩٠٢ بمهفحة ٤٤ وتاريخ الرهبانية المارونية للاب لويس بلبيل صفحة ٨٢ وكتاب صديفة ومحامية صفحة ٢٦٩ .

كان الاصبوب كتبها وسترها ورسلاوا يستشيروا مجمعكم المقدس ويخبروه بمجالهم وهو كان يدرهم بزأي الروح القدس . لكن نسأل الله ان يلطف بعباده باعشرين ولدين من عندنا من صيدا صحبة ابنكم وتلميذنا الخوري ساروفيم . فان جاز امركم تقضوا له اشغاله بوجه السرعة لان بقربنا مدينة عكا بعض اشخاص من اعيانها قبلوا منا تعليم الامانة الحقيقية وطالبين منا الخوري سارافيم يعملوه عندهم مطران لان مطرانهم الارطوقي مات . وهم كتبوا الى مجمع وكلاء (اخوية رهبان) القبر المقدس . فاجابوهم اننا ما نخط في بلادنا مطران هرطوقي ويعنوا الخوري سارافيم وانا وهم كتبنا الى بطرك القدس الذي هو الان في القسطنطينية . ولا نعرف ماذا يكون الجواب . هذا ما انهيناها لعظمتكم ودمتم بالسعود الى يوم سطر في ١٥ خلت ايلول سنة ١٧١٣ الخلود .

كان المطران افثيموس بما انه صاحب الكرسي الاول في البطريركية الانطاكية والنائب البطريركي العام فيها عند غياب البطريرك او بعد موته حسب التقليد القديم وبما انه صار النائب الباباوي فيها كما تقدم ايضاح ذلك كان من حقه ومن واجباته ايضاً تقديم البلاغات والايخبار المفصلة عن احوال ابرشيات البطريركية ورعاتها ورعيتهم والاهتمام بامرهم جميعاً . بل كان ذلك عن طلب صريح من مجمع انتشار الايمان اليه بواسطة ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس . فلم يكن اذاً هذا البلاغ فضولاً منه ولا تمديداً وخفضاً لشأن بعض المطارنة .

واخص هذه الابريشيات التي اهتم المطران افثيموس بها ورعاتها ورعيتهما اولاً ابرشية عكا المجاورة لابريشية صور وكان

اسقفها قديماً تابعاً لمطران صور . ولسبب الخراب الذي استولى عليها من جرآء حروب الصليبيين فيها وهبها البطريرك الانطاكي اغناطيوس عطية للبطريرك الاورشليمي في اوائل القرن السابع عشر وبقيت تابعة مديناً لايالة صيدا . وكان يتبعها حينئذ كرسى الناصرة وبلاد الجليل وبلاد صفد وبرشية قيصارية فلسطين التي كان مطرانها قديماً صاحب الكرسى الاول في ابرشيات بطريركية اورشليم وقد اضحت خراباً ولم يكن باقياً منها لذلك العهد الا بعض اثارها كما تقدم الكلام عنها . وكان في مدينة عكا وبعض قرأها المجاورة لها قسم صالح من الروم الكاثوليك من الكهنة والشعب وقد جاهدوا باتباع الايمان الكاثوليكي بفضل غيرة وتعليم المطران افثيميوس وتلاميذه ثم سعى بانتخاب مطران لها ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس لكن لم يتوفق بسعيه وما برح يهتم بامر الروم الكاثوليك الذين في هذه الابرشية نظير اهتمامه ببناء ابرشيته وصار يمضي في اخر حياته « مطران صور وصيدا وعكا » . وقد تحمل في سبيل ذلك خسارة مبلغ من المال دفعه الى وزير صيدا مقابل مساعدته له وحمايته لهم مما اغضب خريسنديوس البطريرك الاورشليمي كما سنرى كل هذا مفصلاً في مراسلات اهل عكا ومراسلات المطران افثيميوس .

ثانياً ابرشية بيروت المجاورة لابرشية صيدا وكان كذلك اسقفها قديماً تابعاً لمطران صور وكانت مدينة بيروت لذلك العهد

ومعظم ابرشيتها تابعة حكماً وسياسة للامير حيدر شهاب
 حاكم لبنان . فان المطران افثيميوس سعى ونجح سعيه بانتخاب
 مطران لها سلفستروس الدهان من اشرف واقدم الاسر النصرانية
 في بيروت واقنعه بان يجاهر بالايمان الكاثوليكي والطاعة والخضوع
 للكرسي الروماني . فامضى المطران المذكور صورة الايمان
 المنسوبة للبابا اوربانوس الثامن ومهرها بجتمه وارسلها الى رومية
 سنة ١٧٠١ على يد رئيس الاباء الكبوشيين في بيروت . وارسله
 المطران افثيميوس من تلاميذه الحوري ابراهيم الطوطو ليكون
 بخدمته وخدمة ابرشيتة حيث بقي الى ان توفاه الله سنة ١٧٣٠
 وقد وجدنا في سجلات مجمع انتشار الايمان رسالة منه بدون
 تاريخ نقلها بتمامها فيما يلي :

الحقير في رؤساء الكهنة سلفستروس مطران بيروت وما يليها

الى جناب عظمة الكردينالية المجمع المقدس . . .

وبعد نخب جنابكم اني انا المطران سلفستروس ابن الدهان يوم تاريخه وكل
 ايام حياتي مقر ومعترف بالطاعة لسيدنا البابا والمجمع المقدس ونبارك ما تباركه
 ولنعلن ما تلغنه الكنيسة الرومانية وقصدنا بذلك اعلام جلاتكم لكي لا
 تنسوننا من بركتكم وحسن دعاءكم لاننا محتاجين الى صلاتكم المقدسة .

سلفستروس

مطران بيروت

كان تسليمنا هذه الامانة المقدسة على يد رئيس الكبوشيين المرسلين الى بيروت

وان شاء الله تعالى لنا بذلك الغفران والمساحة . ومنا تقبيل اياديكم والدعاء

ثالثاً ابرشية بعلبك فانه سعى بانتخاب مطران لها احد ابناء ابرشيته جبرائيل العورة من صيدا رسمه عليها البطريرك كيرلس الحلبي ولم نعلم عنه غير هذا مما كتبه لنا حضرة صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر العلوف بوجه محقق . ونعلم ان المطران افثيميوس كان يرسل الى بعلبك تلميذه الخوري غفرائيل فينان اذ كان وكيل مطران صيدنايا الذي فيما بعد ارتسم مطراناً على كرسي بانياس باسم باسيلوس كما سيأتي الكلام عليه في محله ان شاء الله

رابعاً ابرشية صيدنايا بجوار دمشق فانه سعى بانتخاب جراسيموس الدمشقي مطراناً لها واقنعه بوجود مجاهرته بالايمان الكاثوليكي والخضوع للحبر الروماني وارسل اليه لهذا الغرض احد تلاميذه الاب غفرايل فينان السابق ذكره . فأقام في صيدنايا مدة طويلة لديه الى ان توفاه الله وخلفه في كرسيه المطران ناوفيطس نصري الحلبي المشهور بصحة عقيدته بالايمان الكاثوليكي .

خامساً ابرشية دمشق البطريركية وطنه حيث دب وشب وتأدب باداب الكهنوت وتجنب الى كثيرين من رفاقه واتبائه الاتقياء النجباء وسعى برسامة البعض منهم كهنة لخدمة النفوس في دمشق واختار البعض منهم ودعاهم الى صيدا وجعلهم من اكليروسه ثم صاروا من اركان دير المخلص ورهبانه الاولين كما انه سعى السعي المجيد لدى البطريرك كيرلس الحلبي وبذل جهده ليقنعه

بصحة الايمان الكاثوليكي وضرورة المجاهرة باتباعه وقد نجح بذلك بعض النجاح كما سيأتي

سادساً ابرشية حوران المجاورة لدمشق وكانت لذلك العهد تابعة لابرشية دمشق وخاضعة راساً للبطريرك ولم يكن لها مطران لسبب ما كان يقع على المسيحيين فيها من غزو العربان لهم . فلم يكن المطران افثيموس يهتمهم من عنايته . بل كان يعظهم ويرشدهم بمراسلاته لهم وارسل لهم عدة نسخ من كتاب الدلالة كما يظهر من رسالة احدهم له

سابعاً . اما ابرشية طرابلس فاذا كان لا يثق باخلاص مطرانها مكاريوس الذي ارسل الى رومية صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي كان يرسل الروم الكاثوليك فيها واخصهم بيت نجر وبيت الكركجي وبيت خلاط وغيرهم . وكذلك اذ لم يكن يثق باخلاص البطريرك اثناسيوس الدباس المتولي على ابرشية حلب كان يرسل كثيرين من الروم الكاثوليك فيها

وكان يعني بامر الجميع بافتقاده لهم بذاته وبوعظه لهم بالكلام الحي اذ كان خطيباً بارعاً ومقدماً هماماً ورجل اسفار لا يخشى على نفسه ما في الاسفار من الاخطار الكثيرة التي نجاه الله منها كما ذكر هذا مراراً في مراسلاته . ثم كان يهتم بهم بواسطة تلاميذه رهبان دير المخلص وبواسطة مراسلاته وكتاب الدلالة الالامعة الذي كان بمقام رسول ينوب عنه لديهم كما يقول في بعض رسائله

﴿ الفصل الخامس والثلاثون ﴾

سندات تاريخية قديمة

لا نجازف فيما نكتب هنا ولا نلقي كلامنا على عواهنه بل يهمننا كثيراً ان يكون القارىء النبيه على بينة واضحة من صدق وصحة ما نذكر في تاريخنا هذا . واذ كان هذا التاريخ من وضعنا الخاص تأليفاً وانشاءً لا تصنيفاً من كتب سبقنا الى نشرها علماء التاريخ كان معظم سنداتنا فيه على المراسلات القديمة التي كان المطران يكتبها الى اصحابه وعلى مراسلات اصحابه له وعنه ولا سيما الرسمية منها التي كان يكتبها الى الحبر الروماني والى مجمع انتشار الايمان والتي كانوا يكتبونها اليه . ولا ينبغي ان نعيد كلامنا السابق فيما يخص صدق وصحة مضمون هذه المراسلات الرسمية التي هي اوثق واصح بينة تاريخية . وقد احببنا نشر البعض منها هنا ايضاحاً وتقريراً لمضمون الفصل السابق وما قبله وآثرنا ان ننشر كل رسالة منها بتمامها لتظهر لنا بشوبها وشكلها القديم الشائق كانها طرفة مستظرفة بما تضمنت من الاخبار الصادقة عن حوادث تلك الايام ببساطة اسلوب كتابتها اسلوب انشاء كتاب ذلك العهد وهي اولاً رسالة من المطران افثيميوس الى البابا اكليمنضوس الحادي عشر . وما نحذفه منها نضع بدله نقطاً للدلالة على ان ليس في ذكره افادة تاريخية .

قدس قداسة الكلي العبطة سيدي اكليمنضوس بابا رومية وكافة المسكونة

طال بقاء امين

كتبنا لقدسكم وللمجمع المقدس سابقاً مكاتيب صحبة ابن اختنا
 الخوري سارافيم في ١٢ ايلول سنة ١٧١٣ ان شاء الله تكونوا وقفتم عليها بنجيد .
 والان نكتب لسيادتكم بهذه القضية التي واجب علي ان اخبر ابوتكم بها .
 واطن ان واجب عليك الاعتناء بها حيث انك راعي وجميع المؤمنين اغنامك .
 ومعلوم سيادتكم ياسيدي بان طائفة الروم كانت الابن البكر للكنيسة
 الرومانية المقدسة وقد انطقت في ضلالة فوتيوس . ومنذ ذلك الزمن الى الان هي
 متهورة مع رؤساء القسطنطينية وهم سكرورا واسكرورا باقي الكراسي وما
 صحبوا . والان في زمانك بنعمة الله علينا اشرق نور الامانة الصادقة في ابرشية
 صور وصيدا . ومنها عمالين البعض من كراسي الابريشيات في ديار العرب يستنبروا
 بواسطة مجاهرة ابنكم وعبدكم . بل رميت ذاتي في المخاطرات لكي تصطلح هذه
 الطائفة وينتشر فيها الايمان الحقيقي لاني لما انظر واحداً منهم دخل في الامانة
 افرح كثيراً وهذا عندي افضل من كنوز العالم

والان حضرة الرئيس عبد الله (قرعلي) رئيس رهبان الموارنة كلما التقي
 بواحد من الكاثوليكين يسرق عقله في الكلام ويدخله عنده في رهبته وبين
 ملته وتبقي ملة الروم خالية من الكاثوليكين . ونحن قصدنا نشر الامانة في
 وسط الطائفة لتكون الحججة عليها منها وفيها . لان الذين هم من جنسهم اكثر جرأة
 عليهم من الغريب . وهو مراده يشرف رهبته بما ياخذه من حصاد غيره ولو
 صاد ضرر على غير طائفته ما عنده هم . ونحن مرادنا بان يوجد بين الروم رجال من
 زرع كنيسة الله وهو قصده ان لا يوجد قبح في هذه الارض المزرونة (ذات الزوان)
 ولاجل ذلك نحن كتبنا له مكتوب بهذا الخصوص وارسلناه مع كاهن من عندنا
 فارسل لنا جواب لفلقة لسان . وقال لما للمجمع المقدس يأمرني بتجميع هؤلاء الذين

عندي انا اعطي الجواب . وصورة مكتوبنا واصلة لقدسكم . فان لاق على خاطركم تعملوا غيره ابوية تليق بدرجةكم التي تقلدتموها من المسيح . لان ما لنا قصد الا ان يوجد بين الطائفة ازهار تشهد راحتها بصحة دين الله ويشهدوا على ابائهم انهم ماتوا على الكفر والضلال . وحضرتكم ان ما فهمتم قولنا على ما هو فان الخسارة راجعة عليكم وانا يكفاني من اجل ذمتي اعلام سيادتكم لاني ما تكلمت الا عن اطلاع وتجربة من الحوادث التي وقعت لنا في هذه الامور . واذا كتبناها لقداستكم يطول الشرح . لهذا السبب كتبنا نخبير سيادتكم بهذه القضية لكي تردوا لنا الجواب كما يقتضي رأيكم لان ليس لنا قصد ولا رضى بعمونة الله تعالى ان نخرج عن تدبيركم . لان هذا الشيء مصور في عقلي من عشر سنين انه لازم وضروري ان نكتب لكم لكي تجتهدوا معنا في اقامة كهنة واساقفة (كاثوليكين) في وسط ملة الروم . وهذا الطريق اقرب واسهل لخلاص كل الطوائف الاراطقة من الضلال . ولاجل ذلك كتبنا لكم في المكتوب السابق مع ابن اختنا ان مرادنا نقيمه في كرسي عكا . وبهذا الخصوص كتبنا الى حضرة البطريرك الاورشليمي نستمنه بذلك . والان ورد الينا خبر بان مجمع مشايخ رهبان القدس كتبوا مكاتيب مرتين وارساوها مع سعاة الى بطركهم في اسطنبول يحرصونه بان لا ينخدع ولا يعطي قول في اقامة ابن اختنا سارافيم في كرسي عكا . ونحن بعمونة الله ممكن ان نقيمه في كرسي عكا رغمًا عن انهم وانف بطركهم . وانا يصير فيها تعصبات من اولاد القسطنطينية ضدنا ويستعينوا علينا بالترك . لكن لا باس لان ابرشية عكا واسعة والنصارى فيها كثيرين تجرذ التعب . لكن لانعرف كيف رأيكم . المراد تمدونا بمشورتكم

وايضاً نخبركم بقصدنا ونيتنا ان اعطانا الله الحياة وساعد نيتنا وقصدنا بان كلما فرغ كرسي من كرسي الابريشية الانطاكية نقيم فيه واحداً من تلاميذنا اسقفاً لان عندنا بنعمة الله تعالى (نية) ان نتممها على احسن حال . انا بدها

تدير مع شجاعة وسخا لان ياسيدي محي الفضة لا يكمل الله شغله بيدهم كما يفيد قدسكم . لكن نسال الله المساعدة .

ونخبركم عن قضية الموارنة دوخوا رأسي في الشكايات وهم قسمين كل منهم يدعي الحق لنفسه وانا اقنعتمم باللسان والمكاتيب بان هذا الشيء متعلق برأي المجمع المقدس الذي هو ملهم من الروح القدس . فالذي مثلي يده فارغة (من السلطة) في هذه الامور . واوريتهم فضيلة الطاعة لكرسيكم الرسولي وتفويض الامر له . وانا مقصودنا في هذا الخبر نعرف قدسكم بانه لاح لنا ان صار تاديب الى الذين اقاموا هذه الفتنة وانشأوها فان تاديبهم واجب لكي يرتدع الباقي ويصير شوية خوف للمقاومين نصحكم الرسولي

وايضاً ياسيدي نحن نعرف ان اشغالكم كثيرة متعلقة في ملوك وممالك . وانا انا شغلي نادر وقوعه وسهل المراد ولا يجرز عطلة . المرجو من فضلكم ان تمنا علينا بارسال جواب مكاتيبنا سرعة لكي نقتدي برأيكم السديد بعد تقبيل اقدامكم ثانياً وثالثاً

ابنكم وعبدكم المطيع افثيموس

مطران صور وصيدا

ثانياً جواب المطران على رسالة البابا السابق ذكرها

جناب حضرة سيدي الكلي الطوبى اكليمنضوس بابا رومية وكل

المسكونة

... فالذي نبديه بين اياديكم هو انه وصلنا مشرفتمم المحتوية بركاتكم خصوصاً ان اتعابنا صارت مقبولة عندهم وعند مجمعكم المقدس . فليس شيء يفرحني في العالم اكثر من هذا . ولاجل ذلك اقدم الشكر لسيدي يسوع المسيح الذي انعم على حقارتي في رضاكم ورضى مجمعكم علينا . وانا صدقت ان جميع ما اوصيتني في مكتوبك هو من فم المسيح .

وبوجب قولك بنعمة الله في هذه السنة اثنا عشر عيلة قبلت الايمان الحقيقي في عكا وثلاثة كهنة من القرايا اللانذة في المدينة . واما الشكوك فقد دخلت على نصارى البلاد (في) البر والمدينة وصاروا قسمين قسم معنا وقسم علينا . والحال ان القسم الذي معنا ما قشعونا وانا على السمع باخبار تعليمنا

وفي مدينة دمشق بنعمة الله قسم اولادنا الكاثوليكين تقوى على قسم المشاقين (بالكثرة) وبجاهرة القول . وقد اجتهدنا جهد كلي باقامة مطران كاثوليكي على كرسي صيدنايا التي هي بقرب دمشق لان مطرانها توفي في هذه السنة والمشاقين اجتهدوا كثيراً ان يقيموا واحداً مثلهم . فالله تعالى ساعدنا في ازالته عن الكرسي المذكور . وايضاً ادخلنا اربعة كاثوليكين في درجة الكهنوت في كنيسة البطريركية التي في دمشق . نسأل الله تعالى ببركة دعاءكم ورضاكم ان يساعدنا على اقامة غيرهم من اساقفة وكهنة لاني لا اصدق اننا نقدر ان نكسب الطائفة وزدها الى دين الله الا باقامة كهنة ورؤساء كهنة منهم وفيهم . . .

وانا يا سيدي من حين فقت على حالي وانا عارف بالايمان الكاثوليكي الذي طول زماني في مجاهدة لاجل اقامته وهدم راي المشاقين . ومن حين دخلت في درجة المطرانية للان مدة ثلاثة وثلاثين سنة ما اعطيت حساب وكالتي لاني كنت اخاف لفظ الافتخار . لكن لما اخبرني ابن اختي الخوري سارافيم بان قد استكم طلبتم منه ان اعطي حساب وكالتي عن الانفس التي قبلت كرزي وتعليمي في الايمان الكاثوليكي من كل الطوائف الشرقية . فنجبر ابوتكم من الروم (اليونان) والملكية والازمن والسريان والتبسط والحبش وواحد من المسلمين ومن اليهود جملة نفوس ينوف (مجموعهم) عن خمسة وعشرون الف نفس لان بلدنا اسكلك بلاد الروم والعرب وهي طريق دمشق ومصر وطريق مكة والقدس . وهذا الخبر كنت استتهي ان يموت معي . ولكن طاعة لامركم بذلك . ومع هذا يا سيدي اني ربيت سبعة رجال في هذا الزمان على خروجي لكبي يعملوا في دين الله مثلي وبنعمة الله غيرتهم على نيتي ونيتكم وهم مختصين

بالكرز والتعليم وكل واحد منهم بمقام عشر رسل (مرسلين) بسبب اللسان والطائفة . وتعليمهم سالك ومقبول اكثر من تعليم المرسلين لان اسم الافرنج مكروه قوي عند المشاقيين . ولو كان لي قوة مصروف على تربية عشرة اخر كنت اجمع وأربي . لكن ليس لي معين سوى يسوع وحده الذي ينظر غيرتي وشوقي . وكنت سابقاً اوصيت ابن اخي لكي ينجبر المجمع على مساعدة لاجل مصروف هؤلاء السبعة لان عندي غيرهم اكثر منهم . وانا هؤلاء السبعة محتصين بالتعليم فحضره المجمع اعطى جواب قال حتى نتفكر . وانا اعرف ياسيدي ان كل هذا الشي من المجمع يصير خير عظيم ويصير لنا قوة على اقامة غيرهم . ومن حيث ان الايمان الكاثوليكي انتشر في هذه البلاد بين ملة الملكية زيد ان يتكاثر في زمانك . بعد تقدمة الطاعة تقبل اقدام قداستكم .
الحقير عبد قداستكم

افثيموس مطران صور وصيدا

سطر في ٢٦ ايار سنة ١٧١٤

ابن البيعة الرومانية

ثالثاً رسالة من المطران الى مجمع انتشار الايمان

جناب حضرة ساداتنا اعمدة كنيسة المسيح الكرديناالية المحترمين زيدت

فضائلهم :

٠٠٠ الذي نبديه بين ايادي سيادتكم ان وردت الينا مشرفتمكم المسطرة في ١٥ تموز وفهمنا منها جميع ما ذكرتموه لنا اولاً انكم حمدتم ما فعلناه في كرم المسيح . فنحن يا سيادنا نعرف حالنا اننا عبيد بطالين وليس عملنا (الا) ما يجب علينا لانه لو امكنتنا ان نعطي جسدنا ليحرق من اجل المسيح يعترينا دائماً الخوف من كلام ربنا القائل في انجيله اعطي جواب (حساب) وكالتك فلاجل ذلك صار مني ذلك على قدر قوتي لاقامة دين المسيح وشرف الايمان الكاثوليكي لكون يا سادتي مديحكم فينا قدام حضرة سيدنا الاعظم ما

صدر الا من لطافتكم الحميدة والفاظكم الانيسة كما قال ربنا من الكثر
الصالح يخرج الصلاح . ونحن على ذلك نطلب من سيدنا يسوع المسيح ان يديم لنا
بقاكم ويرفع شانكم وتكون مجازاتكم عنا الحياة الابدية . وما امرتونا نحن
مجتهدين على حفظه حسب وصية الله لاننا ملازمين ان نتعب في هذه الكرامة
التي تسلمناها من المسيح الى آخر حياتنا

ثم نوضح لكم اننا اقننا سبعة مساعدين معنا لان قال المثل ما يقطع الشجرة
الافرع منها . وهؤلاء الكهنة هم خايفين الله ذوي غيرة كلية في انتشار الايمان
خصوصاً انهم من اولاد البلاد وعارفين في الذمة (علم اللاهوت) واولاد اللسان .
ومن خصوصهم نشكر الله عمال ينتج خير عظيم عند الجميع بسبب انهم اولاد الطائفة
واما ما ذكرتموه لنا لسبب رفع ضرر القرصان عن الكاثوليك فهذا فرحنا
قوي كثير . وكثيرين من المشاقين تميل قلوبهم الى قبول الايمان الكاثوليكي
لكن يصير لي حزن عظيم لما انظر مسيحياً كاثوليكياً رجع الى كفره القديم
وزاد على ما كان بسبب تشليحه من القرصان الذي يكون انفيت حالي ومالي
من شأنه لكي ارداه الى طريق الايمان . لكن نشكر الله بسبب شفاعتكم
عند حضرة الكران دوفا (Gran Duca de Toscana) وحضرة الكران
مايسترو (Grand maestro di Malta) ما عاد ضاع لي شي ولا نفس . بل
زاد مكسي . وشهادتي في الكاثوليكين صارت مقبولة عند القرصان

وايضاً اخبرتمونا عن الذي لنا في ذمة وكلاء بيت الرحمة الذي في نابولي وعن
اجتهادكم الكثير في تحصيل حقنا منهم وعن جواباتهم بان الزمان ضيق بسبب
كثرة الحروب ما يحسنوا يقيموا في حالهم فكيف يمكنهم وفاء ذمتهم . فليكونوا

(١) كان معظم قرصان المسلمين لذلك العهد من اهل الجزائر يهاجمون السفن والبلاد
البحرية الخاصة بالافرنج . ومعظم قرصان الافرنج من الايطاليان وخاصة من اهل بيزا
ولقيورنو الخاصين لاميرتوسكانا ومن فرسان مالطة الذين كانوا يخضون في كل شيء
لرئيسهم . فكانوا يهاجمون وينهبون السفن والبلاد الاسلامية ولو كان اصحابها نصارى

طبيين ونحن ولو كنا متضايقين اكثر منهم في بلاد الاسلام نصبر خصوصاً لاننا نصدق ان المسيحي لا يغدر بمسيحي ونحن نعرف انهم مسيحيين ولا يمكن ان يغدروا فينا وفي كنيستنا القائمة في هذا الاوسيطال (hospitale) الذي هو مصيدة الى خلاص النفوس الضالة . فنحن نشكر فضلكم وجميلكم ثم تعبكم قدام حقارتنا ولو ماطلوا في حقنا وانتم لا تموتوه بل تحلوه لنا من غير تكليف لاننا نعرف غيرتكم على اولاد الكنيسة . . .

ثم شرفتمونا في بعض الآت مقدسة الى كنيستنا وهم اربع كاسات وصواني والشمع عندهم خمسة وعشرون سكوت (scudi) الله يفيض عليكم من كنوز انعامه :

وايضاً نشكر فضلكم لسبب الاكرام الذي اسديتموه الى ابن اختنا الذي هو ابنكم وتلميذكم وفادي حاله لتكميل ارادتكم . ايضاً اوصلتم ليده خمسين قرش من حسنة سيدنا البابا لكي نوزعها على الكهنة ليقدموا على نيته فنحن عملنا حسب مرسومكم خمماية قداس وزود عشرة وقد كل تقديسهم قبل تاريخه باربعين يوماً

ثم اخبرتنا عما وهبنا سيدنا البابا في بلاد اسبانيا وهي ستاية سكوت وصل من باطنها خمسين سكوت ليد الخوري سارافيم ابن اختنا وهو عملها خرجية طريقه لما كان متوجه (راجع) الى عندنا : والان نصدق ان حان زمان وفاء مائة سكوت ان جاز امركم تدفعوها الى الكوميساريو متاع القدس وهو يرسلها الى وكيلهم الذي عندنا في صيدا لكي يدفعها ليدنا

(يتبع)

انتقال العذراء

(تابع)

المشهد السادس

المذكورون والرسول توما

توما : (على حدة وهو داخل) لقد اكملوا عمل التعزية ، ما اقل

حظي !

بطرس : (بلهفة) اخونا توما ؟ سلام الرب يا حبيب .

الجميع : (معاً) سلام الرب يا اخانا .

توما : عليكم يا اخوتي . (يصافحه الجميع)

اندراس : لقد اعيالك التعب وانهمكت قواك شقة الطريق .

توما : يعود اليّ نشاطي برؤيتكم يا اخوتي وتتجدد قوتي

بوجودي فيما بينكم ولا يشق عليّ من تأخري الا اني لم اكن

معكم في عمل التعزية .

يوحنا : لك الخير يا عزيز ووالتك النعمة ، فلقد كنا نود ان

تكون معنا في هذه التعزية اذن لزال عنك كل تعب وكل

ثقل .

توما : لا بأس من التعب ، وفي جنب معلمنا الالهي كل ثقل هو

راحة . وها ان صوته الالهي كلني في داخلي فقمتم اليكم .
بطرس : وهذا الصوت نفسه هو الذي جمعنا لامر جَلَلٍ خطير
يحق ان نجتمع له .

توما : ولعله اجل من استحق الحضور فيه او ان الله اراد به ما
لا استطاعة ان افهمه .

اندراس : بل ما اراد من تأخرك لا مقدور ان ندركه ، واما
الامر الحادث فلا صعوبة فيه .
توما : فما يكون الامر اذن ؟

بطرس : الامر يا اخانا اننا منذ يومين وهذا الثالث قد شهدنا
رقاد امنا وسيدتنا وجهزنا للدفن ذلك الجثمان الطاهر .
توما : (بدهش واستغراب) ماذا ؟ . أألتي نرثت في جبلها وميلادها
تسكن اللحد وتوارى في قبر ؟ ؟

ابن حلفي : نراك تبتعد عن التصديق وتريد ان تتردد في الامر
كانه غير مصدق .

توما : أَيْصَدِّقُ أَنْ تَمُوتَ مِنْ سَبَبِ الْحَيَاةِ لِلْعَالَمِ أَوْ يَصِحُّ أَنْ يَدَانِي
الفسادُ جَسَماً حَمَلَ الْحَيَاةِ ؟

اندراس : لقد قضى عرفك اذن ان تظلّ امنا المباركة في هذه
الحياة الدنيا بين شقاءها ومرآزها وبلاياها ، محرومةً من سعادة
المللكوت ولذة الهناء بمشاهدة ابنها .

توما : معاذ الله ان افكر بذلك ! وانما لا ادري كيف يستحيل ان

تبقى في الحياة وتنعم في الوقت نفسه بسعادة الملكوت .
واي صعوبة في الامر والحياة في المحبة تسهل ذلك ؟

يعقوب : لقد احسنت اذ قلت : « تسهل ذلك » نعم فالجب
يهون الامر شيئاً ويقسم بعض الحظ الذي يساعده الايمان ،
لكن لا بد ان يزول هذا الحجاب لنتمتع بالحقيقة كما هي
دون ظل دوران .

فيلبس : ما عدا هذا فاخبرنا لم يجيبك ؟ وان قدرتَ ففسّر لنا ما
معنى انك دون دعوة ولا طلب تترك ميدان اتعابك الرسولية
وتحضر الينا ؟

توما : على الحقيقة لا اعلم لامر حضوري دافعاً غير هامسٍ خفي
لم استطع مغالبتة .

متيا : أما يدل هذا على حادث غير اعتيادي هو ما انت متردد
فيه ؟

توما : لا اعلم . انما العسير عندي أن اوفق بين تنزهها عن الخطأ
ودنو الموت منها .

متي : اذا كان مولودها القدوس قد قبل الموت والدفن فكيف
لا تموت من ولده ؟

توما : نحن نعلم ان الموت هو قصاص الخطيئة ، وهي قد حبل
بها وولدت وعاشت بلا خطيئة ، فلا سلطان للموت اذن عليها .
واما المعلم الالهي فانما مات لاجل خطيئة العالم كله .

بطرس : لا يفت معرفتك يا حبيب ، أن الام البتول هي خليقة منجحة لا بد ان تموت . وأماً انها لم تشارك البشر بالخطيئة التي لاجلها حكم عليهم بالموت ، فانما ذلك امتياز عصمها به الله منها ، فيمكن بهذا المعنى ان تقول انها لا تموت ، ولكن اذكر ايضاً ايها الحبيب ، ان الثالث القدوس الذي اختارها لان تكون شريكة ابنها في عمل الفداء ، قدرتب ايضاً ان تشاركه في قبول الموت لتكون مشابهة له في كل شيء .

توما : اذن فكيف ابطل المعلم الالهي سنة الموت من الحبيب يوحنا ولا يبطلها عن والدته .

يوحنا : الا ترال يا حبيب متشئناً بما علق يوماً بالاوهام من كلمة المعلم الالهي ، « إن شئت ان يثبت هذا » . . انه تعالى لم يرد ابداً ما قد وُهم وألا لكان صرّح لي به . فاننا صائر الى آبائي متى شاء هو . فلا برهان والحالة هذه على ان سيدتنا لا يمكن ان تموت ، وبالتالي لم تمت ، فلو لم تتأخر لشاهدت بام عينك . ويا ليت انك شاهدت وجهها المتهلل وثغرها الباسم مما دل على انها لم تمت موت قصاص بل موت جزاء . والاحرى ان يقال انها انتقلت انتقالاً ودخلت الحياة . نعم هذا هو الحق الواقع يشبهه الظهور العجيب الذي ظهرت لنا فيه اليوم متألثة

بالنور تخدّمها اجواق الملائكة وهي ترتقي في السحب .
وعلى هذا فانها على مثال ابنها الحبيب القدوس لم تُقم في القبر
سوى ثلاثة ايام من بعدها ضعدت وقد رأيناها كلنا منطلقه
تجوز اطباق السموات .

توما : وأيضا ؟ ؟ ان كلا الامرين يحتاج الى اثبات قاطع فلا
يصح عندي خبر لم اثبتته .

سمعان : ان عدم وجودها بيننا الآن يؤكّد لك رقادها . فمتى
كان اجتماعنا بدونها ، او متى التأمنا ولم تكن بيننا ؟
يهوذا : ونحن كلنا نؤكّد لك الامرين معاً .

بطرس : قال معلمنا الالهي : « على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل
كلمة » فنحن كلنا نثبت لك ما وقع فلا يصح التردد بعد .
توما : اقول لكم الحق ، إن فيّ ميلاً مطبوعاً لا استطيع
مغالبته . . فان انظر القبر وأفضّ ختمه فلا اقوى على
التصديق .

فيلبس : عجباً يا توما فهذا شأنك في القيامة الخلاصية .
توما : ان الشوق الذي حملني اليكم يضطرم فيّ الآن شديداً .
فهبوا اني اقتنعت بكلامكم لكنني ما اكتفيت ، وكلما زدت
في اقناعي ازداد شوقي ورغبتني فيما ذكرت .

بطرس : كلنا في هذا الشوق والحنان يا حبيب ، وانما التعزية
ملأت قلوبنا ولا بدّ انها تفيض لك انت ايضاً .

توما : تقولون انكم رأيتم وشهدتم ولذلك ملأت التعزية
قلوبكم ، فلا احب ان اكون انا اقل حظاً من المشاهدة
والعزاء . فلعل ما في من الشوق يبلغ غايته بروية جثمانها
ويروي غليله بنظر آثارها الباقية .

يعقوب : قلنا لك انها حملت الى السماء . فماذا تريد ان ترى بعد ؟
توما : مهما يكن من الامر فاني اتوق ان ارى حيث وضعت
وهناك تسقط شكوكي ، وهناك يزول ترددي .

يوحنا : ليجب اخونا فزيارتنا اري لها مزية ممتازة اليوم ايضاً لمجد
الابن والام معاً .

بطرس : ليرتض الله يا اخانا ان يكون ترددك للخير في هذه المرة
ايضاً . فہلم نرك القبر وهناك تتأكد الامرين معاً .

فيلبس : وهناك نعفر جباهنا تيمناً وبركة .

برثلموس : ونتمن بقبلة ترى ضريحها الممجد .

بطرس : هيا اذن يا اخوتي فلنا في الزيارة تمام السلوان . وان
الام لقديرة ان ترى في الامور كلها الخير الكبير لنا والمجد
الوسيم لابنها القدوس .

(يتجهون للخروج)

متيا : (وهو خارج) لتُدعِ السماوات مجدها !

يوحنا : (وهو خارج) وليعرف الارضون اقتدار حُبها !

سمعان : ولتقسيم لنا حظاً آخر من حنان قلبها !

يهودا : ولتملاً قلوبنا من سلامها ذاك المقدس محققة وعدها ان
تكون معنا دائماً .
توما : ولتتنازل عاذرة جراتي ولتغتفر ما لا يرضيها في عملي وما
لا يسرها في تطلي !

المشهد السابع

الرسل كلهم والملائكة على القبر

(عند وصول الرسل الى القبر يظهر ملاكان يرفعان الحجر عنه فيظهر من
داخله زهور ورياحين وزنابق وورود فيجشو الرسل متهيئين وينحني الملاكان على
مدخل القبر من هنا وهناك ويظهر ملاك آخر في داخل القبر يرفع عن الزهور
ملائكة رقيقة ويخضع .)

توما : (يصرخ حالاً) يا أمّ الهي عظيم مجد انتقالك !
الجميع : يا والدة الاله الكليه القداسة اعينينا !
الملائكة : (يتغنون بالانشودة التالية ويساعدهم الجوق من الخارج مع توقيع
الاوراق)

اللازمة

فوق صفوف الكرويين مَلاّ السما
قد حلت بكر العالمين كعقد نظماً

سلطانة دار النعيم من هي مجد أورشليم
ورعدة وادي الجحيم وخزي كلّ الملائكين

دور

وهي المختارة كالشمس - وَطَهُورُ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ
 مِنْ فَيْضِ نَدَاهَا الْمُنْبَجِسِ - بَرَّتَاحُ الْقَلْبُ مِنَ الْهَمِّ
 فَسَنَاهَا جَمِيلٌ كَالْبَدْرِ - وَجَدَّهَا يُشْرِقُ كَالْفَجْرِ
 وَتَجْرِي يَدَاهَا بِالْمَرِّ - وَتَفِيضُ يَدَاهَا بِالنِّعَمِ

دور

وهي سُوسَنَةُ الْوَادِي - وَوَالِدَةُ الرَّبِّ الْفَادِي
 يَلِيقُ بِهَا مَدْحُ الشَّادِي - وَيَطِيبُ لَذِكْرَاهَا النَّعْمُ
 تَسْمُو بِتَوَاضِعِهَا الْعَطْرِ - كَعَمُودِ بَخُورٍ مُنْتَشِرِ
 وَكَصَفِّ جَنُودٍ مُنْتَصِرِ - مَرْهُوبَةُ الْإِسْمِ الْمَجِيدِ
 فَلْيَعْمَلْ جَلَالَ، اسْمُ مَرْيَمَ - وَلْيَسْمُ فَعَالَ، اسْمُ مَرْيَمَ
 وَلْيَزِدْ جَمَالَ، اسْمُ مَرْيَمَ

يرسل الستار



ترجمة

المرحوم جرجي بيطار

(تابع)

بقلم الاب مكسيموس شتوي ب م

الفصل السادس

الصحو بعد العاصفة

« جنديّة المسيح على الارض » او جمعيّة مار منصور سنة ١٨٦٣

كانت ثورة السنة الستين وبالأعلى مسيحي دمشق عموماً وعلى حارة النصارى خصوصاً . فلقد سيطرت الفاقة المؤلمة على الذين نجوا من فتك السيوف ، وتشتت المنكوبون في احياء دمشق ، وهجر المدينة عدد كبير من ابناء الطائفة وسواهم ، الى الاقطار الفلسطينية ولا سيما المصريّة .

على انّ النعمة الالهية التي القت في نفس جرجي بيطار بذار الفيرة والمحبة ، منذ صباه ، قد جعلت من هذا الشاب ، رسولاً نشيطاً ، لنشر الخير والاحسان ، واعدته لاشرف واجمل رسالة على الارض ، هي رسالة المحبة الشاملة . ولقد أبكاه مشهد الالم المحسوس ، البارزة آثاره ، بعد تلك المأساة ، في الدماء المتجمدة ، والجثث المبعثرة ، والمنازل المتهدمة الفاحمة ، وفي الفقراء الجائعين ،

(١) اعتمدت في هذا الفصل على روح صاحب الترجمة ، البادي في

الجالئين كاشباح مخيفة ، وقد ارتسمت على وجوههم صفرة الموت الكامن . فاضطرت في نفسه نار محبته الفطرية للفقراء والمساكين ، إذ انبسط امام ايمانه الحي ، ميدان العمل ، والجهاد في سبيل القريب ، ذلك الايمان الذي قطن في اعماق نفسه منذ العمد ، ولم يزل ينمو ، حتى بلغ به الى اسمى درجات المحبة ، اعني التجرد الذاتي الكامل ، فوقف حياته لخدمة الغير ، وقفاً لم يُخلف به ، حتى آخر يومٍ من حياته .

هذا هو جرجي بيطار ، الشاب النابه في العشرين من عمره ، الواقف في معترك الحياة ، لخدمة خالقه ، بخدمة اوضع فئة تمثله تعالى على الارض ، اذ سمى افرادها الكثيرين إخوة له . وقد فهم جرجي ان محبة الله على هذه الفانية ، لا يمكن ان يقوم عنها دليل اقوى من محبة القريب الكاملة ، متخذاً من محبة السيد المسيح للبشر ، أعظم مثالٍ وواقع برهان ، جملة على التأسي به تعالى في المحبة ، ولذلك نسي نفسه ، واستعد لأن يكون حجراً مختاراً ، في تلك المدينة السرية التي يبندها اولئك الذين يحبون الله محبة كاملة تبلغ بهم الى التضحية بنفوسهم على مذبح محبة القريب .

وكان مغتبطاً اعظم الاغتباط بهذه الرسالة التي دعي إليها ، حتى إنها تسيطر على قوى نفسه وأضحت موضوع افكاره وآماله واعماله ، إلى حد أنه لم يعد يفكر بسواها ، فكان يشتد

فرحه بها باشتداد الحاجة والفاقة ، وتتضاعف همته في بذل الخير والاحسان ، بمختلف الوسائل والذرائع ، واهمها المبالغة الشهمة في تقديس نفسه ، اعتقاداً منه ان المصائب والمحن في هذه الحياة ، إنما هي قصاصٌ من الله عن خطايا البشر ، فكان يتقدّس بالاكثر ، ويحمل الغير على التقوى والصلاح ليكف الله ضرباته .

ولما كانت المحبة ، حسب قول المثل ، تبتدئ بذات الشخص ، فقد عرف جرجي ان يجب نفسه اولاً ولكن عن طريق الكفر بها والتقرب من الله تعالى بالعبادة والتقوى . ولكي يتوطد في نفسه ذلك التقرب ويرسخ فيه ، قد اتخذ مريم العذراء ، والدة الاله ، شفيعة خاصة له فجدد اشتراكه في اخوية سيدة البشارة التي كان أسسها بدمشق السعيد الذكر البطريك مكسيموس مظلوم وانتظم جرجي في سلكها منذ سنة ١٨٥٤ ، وكان هو في مقدمة الساعين لاعادة تأليفها ، بعد أن تبدد اعضاؤها إبان الثورة . فجعل نفسه عبداً خاصاً لهذه السيدة الحميدة ، يستنجد بها بثقة وایمان كما يستنجد الولد بوالدته . وقد كتب في احدي رسائله معبراً عن عبادته القديمة والثابتة لمريم البتول قائلاً « أيتها السيدة العذراء ، اني منذ صباي كرسيت نفسي لك ، وصار لي خمس وسبعون سنةً مشتركاً في أخويتك » .

وقد جمع الى محبة نفسه محبة شديدة لوالديه ، وهو لم يجبهما فقط عن واجب المحبة المقرون بشعائر الهيبة والاحترام ، بل

أحبهما ليتخذ من محبتها ذريعةً لانتشار محبته الشاملة ،
بمساعدهما له في خدمة الغير . والحق أنه كان سبب فرح لوالديه
الذين تعجبوا من بوادر غيرته المسيحية ، ومن سلام نفسه
وتواضعه ودعته . فكان خلقه معهما ومع غيرهما متساوياً في
أمازه واطواره الهادئة ، وممزوجاً بسذاجة طبيعية لذيذة .

وقد ارتفعت به هذه المحبة الى اسمى درجاتها فتمثلت باوضح
مجاليها في عطفه على اشخاص الفقراء والمرضى ، على اختلاف
فقرهم وحاجاتهم وامراضهم ، الى حد أنهم اخذوا يرون في هذا
الشاب ، بابتسامته العذبة ، وحلاوة حديثه ، وكرم نفسه ، وطيب
عواطفه ، مورداً لحاجاتهم وتعزية لهم في اوجاعهم .

فهذه القروع الثلاثة من المحبة كان مصدرها واحداً في
نفسه الفتية ، وهو محبة الله التي ملأت كيانه منذ صباه ، كما شهد
بذلك اباؤ الدير الكبير الذين دهشوا من تقوى الشاب جرجي
بيطار ومن خشوعه النادر . ولم تكن فيه تلك المحبة محبة عاطفة
او شعور ، بل محبة عملية قوامها التقوى والفضيلة وعمل الخير .

علي ان هذا المبدأ السامي ، أعني مبدأ المحبة ، كان هو الدافع
الاول الذي حمله على ان يؤسس في دمشق مركزاً لصناعة النجارة
واتقان فن التطعيم في الخشب ، أو الفسيفساء ، الذي ابتدعه . ولم
يكن يقصد من هذا التأسيس سوى ان يجعله مورداً يرتق منه
لمساعدة القريب اشباعاً لنزعات محبته المضطربة . فاستدعى

أشدّهم ميلاً الى النجارة ، وفضّل الفقراء منهم ليخفف عنهم وطأة الفقر ، فذاع بدمشق صيت هذا الشاب النجار المحب الفقراء ، جرجي بيطار .

وفي ذلك الوقت ، بعد هدوء العاصفة ، أخذ اهالي دمشق بترميم منازلهم واصلاح شوونهم ، وكان جرجي قبل السنة الستين قد بدأ يشتغل في دير الاباء الفرنسيسكان فاستدعاه رئيس الدير لاستئناف العمل ، وهناك ظهرت لأول مرّة بدائع فنّه المدهشة . وقد كتب هو عن نفسه قائلاً : « اني اشتغلت نجارة الدير كله ، و كنت ارفع اثقالاً قوية . »

والحق ان جرجي بيطار كان قوي البنية ، جريّ الصدر ، فكان ينصب جبلاً متيناً في سقف الدير وسقف كنيسته ، ويصعد علي ذلك الجبل وينزل ويتنقل عليه من ناحية الي اخرى ، توفيراً للوقت الذي كان يستغرقه بناء الصقائل ، واسراعاً في العمل . فكانت جهوده هذه سبباً لما ابتلي به في شيخوخته من بعض العاهات المؤلمة .

وبعد ان فرغ من الشغل في ذلك الدير ، صرف عنايته الي ترميم وترتين كنيسة الطائفة الكاتدرائية ، بحارة الزيتون ، الحاوية الآن من بدائع فنّه ما يشهد له بالتفوق وجمال التصوير . فقد « اشتغل فيها الكرسي البطريركي في الخورص ، وكرسياً

آخر للبطريك داخل الحنية مقابل الهيكل الكبير ومنبرين في وسط الكنيسة ، لقرآة الانجيل والقاء الوعظ على الشعب .
 وبينما كانت الجماهير تُشيد باسم جرجي بيطار ، معجبةً بفنّه ودقة صنعته ، كان هو يصم اذنيه عن سماع كلمة مديح او اعجاب ، ويستتر في تواضعه غير مهمّ بسوى ازدياد مورده ، ليسد حاجات الفقراء ، واقل اليه الكثيرون ، فاضطّر الى توسيع دائرة شغله وزيادة عمّاله . فتهلّت نفسه بما جنت يداه في سبيل الفقراء . ويمكننا الجزم بأنّه اقنع والده بأن يترك حينئذ مهنة البيطرة ، مستريحاً من عنائها ، ليتكل على ذراع ابنه ، ويتفرغ لمساعدته على الاهتمام بالفقراء ، الذين كان يكثر الصلوات من اجلهم ليفتح الله امامهم سبيل الخير .

وقد استجاب له الله عزّ وجلّ بان ارسل الى دمشق سنة ١٨٦٣ من أسس فيها جمعيّة مار منصور . ولترك له ان يصف لنا في احدى كتاباته تأسيس هذه الجمعية قال :

« في سنة ١٨٦٣ اتى من بيروت الى دمشق ، الرجل الغيور على تكثير الجمعيات الخيرية الخواجه ريشار الفرنساوي . وأسس عندنا جمعيّة مار منصور . فانتخب رجالاً من كل الطوائف الكاثوليكية ، فأنشئت الجمعية وتنظمت بقانون خاص ، وكنت من اول المشتركين فيها . واخذنا نفحص عن الفقراء ، وكان

« عددهم كبيراً جداً . وترتبت لهم المساعدة مرة في الاسبوع ،
« وكان اعضاء الجمعية اثنان اثنان يزورون العيال الفقيرة
« ويقدمون لها المساعدة المعينة ، ويعزونها مستفحسين عن
« احوالها الروحية والزمنية يأخذون الاولاد الى المدرسة . وانا
« كنت ازور بعض العيال الفقيرة في بيوتها ، وكان بينهم رجل
« اعمى وعجوز ، له ابنة متزوجة يقيم عندها ، ورجلها بحال فقيرة .
« فكنت ازوره وآخذ له المرتب . ولحظت اخيراً انه اصبح عالماً
« على نفسه وانه متعذب من حاله ، فأوقفته واخذت يديه وحملته
« على كتفي ، واتي به الى بيتنا ، فلما نظرتني امي حاملاً الاعمى
« قالت له : اهلاً وسهلاً بك يا عم . وللحال ادخلته الى المربع
« الصغير ، وفرشت له فرشة ، وبما انه كيف اعمى ، أخذت امي
« تطعمه بيدها . وكان هذا الاعمى المبارك يبكي ويقول
« لأمي : « دخيلك يا ام جرجي اني اقدر ان آكل لذاتي . اعطيني
« خبزاً وجبناً ، ولماذا جئت بالطبخ ؟ » فقالت له امي : « لا
« تستثقل يا عم ان هذا الطبخ هو من طبخنا ، فكن مرتاح البال
« ولا تهتم لشي . فدعا لها من جوارح قلبه وقال : « الله يقوي كل
« جمعيات مار منصور في كل العالم ، ويكثر على افرادها الخيرات
« والصحة الكاملة لكي يساعدوا العميان والعاجزين والفقراء .
« فكنت اسمع هذا الكلام واقول في نفسي : « واحسرتي على
« الفقراء والعميان فانهم يتذوقون يومياً مراز الكدر والغم

« وعذاب القلة والجوع والعري ، وخصوصاً الذين منهم اصحاب
« عيلة كبيرة ! ان الله تعالى خلق لنا العيون لكي نساعد الذين لا
« عيون لهم .

« وكانت ايضاً من العائلات الفقيرة التي كنت ازورها ،
« عائلة معروفة ، مستورة فأتى اليّ احد رفاقي واخبرني بشدة
« حاجتها، بان اولادها سيكون جوعاً . فتوجهت الى تلك العائلة في
« السهرة ، وسمعت الاولاد يبكون من الجوع وهم كثير و
« العدد ، وكان علي يد الام ولد ترضعه ، وولد آخر متكّي علي
« حضنها . فكلمت هذه الام المسكينة فقالت لي : ليس لاولادي
« رغيف يقتاتون به ، فلم اقدر ان اقف ازاءها وانظر هذا المنظر ،
« وترقرقت عيناى بالدموع السخينة ، فذهبت حالا الى السوق
« فاشتريت لهم خبزاً وأكلاً وحلوى . فلما رأى الاولاد الاكل
« المقدم لهم ، هجموا علي والتموا الاكل بشهية وقابلية قوية .
« ثم تركتهم بعد ان وزعت عليهم شيئاً من الدراهم . »

فكل يعجب من شهامة وهمة هذا الشاب النشط ، في خدمة
الفقراء ، وكل يتمثله وهو حامل الاعمى على ظهره ، أشبه بسامري
الانجيل ، بل اعظم منه شأنًا ، واشد منه محبة وكان نفوراً بهذه
الخدمة ، كما كتب في احدى رسائله الى سليم وسامى بولاد ، اللذين
كان يطلب منهما مساعدة للفقراء : « يا أعزائي انتم تعرفون اني

منذ صغري لاحق ومتبع كار خدمة الفقراء ، ومن حين
تأسست جمعية مار منصور سنة ١٨٦٣ من بعد الحادثة ، تمسكتُ
بها ولم اتركها ابداً الى ان ابرح هذه الحياة ، لانها الذّ عمل لي ،
لكونها تغفر الخطايا ، وترفع غضب الله عن الارض .»
ولم يكن للتعب او الملل ، في سبيل مساعدة الفقراء ، منفذ
الى نفسه سواء في الشغل اليدوي او في جمع التبرعات لاجلهم ،
لاعتباره ان كل تعب في سبيل الفقراء له المكافأة الجزيلة في
السموات ، وان للصدقة استطاعة عظمى على مغفرة الخطايا كما كتب
في احدى رسائله : « لاتظنوا ان هذه العطلة ، او التعب لاجل
» الفقراء يذهبان سدى ، لانه اذا كان لكاس الماء البارد ثمن عظيم ،
» فما يكون ثمن التعب والسعي والاهتمام لصالح الفقراء اخوة يسوع
» المسيح ، وانا منذ صباي استعمل هذا الكار ، لكي نمحو به
» خطايانا الكثيرة ، واطن انه ينذر ان يوجد احد بلا خطيئة ، وقد
» فحست ادوية كثيرة ، فما وجدت دواء يمحو الخطيئة اكثر من
» الخدمة والاهتمام والاحسان للفقراء . والمتضايقين ، كما وجد
» باستور الشهير الميكروبات واخترع دواءً ضدها . وقد توجد
» بعض ادوية لمحو الخطيئة ، وهي الدموع الحري ، ولكن الحسنة
» مع الدموع ، او الندامة الكاملة ، هي واحدة لواحدة ، لمحو
» ميكروب الخطيئة ، المعشش في جسمنا المملوء من الخطايا .»

وكم مرة بلغت به محبته للقريب الفقير الى حد انها جردته من آخر درهم في جيبه ، كما شهد هو في احدى رسائله قائلاً : « اني دائماً ، ومنذ صغري اخلت حالي من الدراهم ، وكنت أظفر من « الطنبورة » حتى يكون ضميري مرتاحاً وقلبي مسروراً . »

وقصارى الكلام ان جرجي بيطار ، وجد في جمعية مار منصور قوة عظيمة استخدمها هو بغيرته ونشاطه وتضحياته الكثيرة ذريعة مباركة ليبلغ الى اعظم مستوى من محبة الله في اشخاص الفقراء متعاوناً في ذلك مع والديه التقيين وسائر اخوته . وكان يعلم حق العلم ان فعل المحبة لله في شخص الفقراء ممثليه تعالى على الارض هو اكثر نفعاً للكنيسة من سائر الافعال ، فاتخذ هذا المبدأ الاسمي قاعدة لحياته ، ولم يدع العوامل البشرية تتسرب الى اعماله ، لان الروح الفائق الطبيعة كان مرشده اليها ورائده فيها . ولئلا يتخدر عزمه النبيل او تشعر نفسه بالسأم ، وهو واقف بين نزعات الشباب وميله الفطري الى خدمة القريب ، كان يتقوى كل يوم بالصلاة الحارة امام الله اثناء حضوره القداس اليومي ويتغذى بتناول جسد الرب ، ليضرم في نفسه نار المحبة والغيرة ، ويثبت في سلك جمعية مار منصور التي كان يسميها « جنديّة المسيح على الارض . »

الفصل السابع

الرهبانة أم الزواج؟

في سنة ١٨٦٤، انتخب السيد غريغوريوس يوسف مطران عكا، خلفاً للبطريرك التقي الابن الأكبر الكمنضوس ببحوث الذي شاء بتواضعه ان يتنزل عن الرئاسة. فقصده البطريرك الجديد الى دمشق، حيث ردّ الى وحدة الكنيسة والطائفة اولئك الذين كانوا خرجوا منها بسبب الحساب الغريغوري^١. ولم تطل المدة حتى بلغ هذا البطريرك الجليل ما يفعله الشاب جرجي بيطار بدمشق من الخير العظيم وكان قد مثل امامه صحبة والده لتنهته واخذ بركته.

« وكانت دمشق مجالاً واسماً لجهاد الرهبان المخلصين، ودامت على ذلك مدة طويلة، رأت في خلالها، كيف يبذل رجال الله دماءهم واعراقهم، دون الذود عن حقيقة دينه وكيف يدافعون عن كرامة ابناء الطائفة، ولعلّ شيوخ الطائفة ووادي « جرجي » كانوا يروون له ما عانى اولئك الرهبان من الجهاد والاضطهاد، وقد رأى هو من ذلك في ريعان شبابه ما فيه « الكفاية ».

(١) الاب ق . باشاب م - محاضرات في تاريخ المدرسة المخلصة .

(٢) الاب نقولا ابو هناب م - تأبين صاحب الترجمة .

فنزعت نفسه الى التآسي بالرهبان ليس فقط في جهادهم بل في حياتهم الرهبانية ايضاً. بيد انه لم يجسر ان يكشف أحداً بفكرته هذه ولم يشأ تحقيقها في ذلك الوقت مراعاة لحاظر والديه الطاعنين في السن وقياماً بواجب العناية بهما وباخوته بما انه بكرهم .

وكان شقيقه حبيب ، ثالث اخوته ، قد بدأ يشتغل معه في حانوته . وما عثم أن برع في صناعة النجارة وفي فن الفسيفساء او التطعيم في الخشب . فازداد اليراد ، وزادت به محبة جرجي للفقراء ، فأخذ يوزع عليهم باكثر سخاء وتوسع مما قبل .

ولما تحقق براعة شقيقه واستطاعته ان يدير حانوت النجارة ويساعد والديه ، عادت اليه نزعمة الانتظام في سلك الرهبانية . ولا بدع اذا بقيت هذه النزعة كامنة في نفسه ، فقد نشأ على عادة الصلاة والتضحية وممارسة الاسرار المقدسة ، واتضح له من امثلة الكهنة الاتقياء ما يكون الجهاد الكامل في سبيل الله والنفوس ، فلم يكن العالم في نظره ، على ما بلغ هو اليه من صيت ذائع ومكانة واعتبار ، سوى ميدان يتبارى فيه رجال الله باعمال التقوى والفضيلة والجهاد وقد فهم ان الاثبت والاشرف في تلك الاعمال هو ما تأتبه النفس الكهنوتية . ولذلك كتب هو نفسه في احدى رسائله قائلاً : « ان اميالي كانت ان اترك العالم واذهب

الى الدير العام لاشترك برهبانيتها المقدسة'.
 ففي سنة ١٨٦٨ اذ كان الايكونومس يوحنا كحيل رئيساً
 عاماً على الرهبانية المخلصية سافر جرجي من دمشق الى دير المخلص
 ونفسه شقيقة الى الحياة الكاملة في الله قائلاً مع النبي داود: « هذه
 راحتي الى دهر الدهرين ».

فقبله الرئيس العام بتلك البشاشة العذبة التي عهدت فيه
 والتي كانت تجتذب اليه النفوس كأنما بجاذبية طبيعية . ولكنه
 تفرس بطلمة جرجي فادرك ان الله تعالى يدعو هذا الشاب الى غير
 الحالة الرهبانية . على ان جرجي لم يشعر آنذ بتلك الطمأنينة الكاملة
 المرافقة النفس عند بلوغ امنيتها . فقد عرف ان البطريك
 غريغوريوس يوسف موجود في الدير وكان ترأس انتخاب الهيئة
 القانونية بصفته زائراً رسولياً على الرهبانية . فخاف ان يعلم
 البطريك بمقصده فيصده عنه لا محالة . وقد حدث ما كان
 يخشى حدوثه . فان البطريك لما عرف بمقصده جرجي أمره بان يعود
 الى دمشق لمواصلة العمل الخيري الذي كان يأتيه .

فرجع الى دمشق حزيناً ولكن فكرة التهرب لم تزل امنيته
 الكبرى ، ولم يبرح مترجياً ان يمن الله عليه بتحقيقها في مستقبل
 الايام . ولشدة هيامه بان يتخصص هو او احد افراد أسرته
 لخدمة الرب بالحياة الرهبانية الكهنوتية قد تذاكر في هذا

الشأن مع شقيقه حبيب بعد ان أنس منه ميلاً الى تلك الدعوة المقدسة . ثم عرض الامر على والديه فرضيا وارسله الى دير المخلص سنة ١٨٦٩ وفي نفسه ان يلحق به الى هناك حين يأذن الله بذلك .

فذهب حبيب الى دير المخلص وفي سنة ١٨٧١ ابرز نذوره الرهبانية وارتمس كاهناً سنة ١٨٧٤ من يد البطريرك غريغوريوس يوسف عينه ودعي يوحنا . فابتهجت نفس جرجي وقد بلغه ما ذكر عن شقيقه الكاهن يوحنا من اعمال الفضيلة والتقوى ومن إدامانه الامانات الشديدة وتدقيقه الكامل في حفظ القوانين الرهبانية .

واذ كان يوحنا على جانب عظيم من الخدق في النجارة وفن الفسيفساء فقد اشتغل في كنيسة الدير الكبرى من خشب الجوز الجميل كراسي الخورص وكرسي الرئاسة العامة والدرابزون الذي يفصل الخورص عن صحن الكنيسة وهي بآثار بدائعها آية في حسن الذوق وجمال الهندسة . ثم ارسله البطريرك غريغوريوس يوسف لخدمة النفوس في قرية معرونة من ضواحي دمشق ومنها نقله الى دير القديسين سرجيوس وباخوس في معلولا بصفة رئيس على هذا الدير .

اما جرجي ، فبقي مشاركاً على الشغل في خانوته ، ولكن نفسه كانت تهتدُ دوماً بفكرة الرهبانية وبتقديم ذاته على مثال شقيقه قرباناً على مذبح الرب . غير ان ساعة المحنة اخذت تقترب من هذا الشاب الطيب القلب والسريرة ، فتوجب عليه ان يقدم لله تعالى قرباناً غير القربان الذي كان يريد له لنفسه ، بتذوقه لأول مرة كأس الحزن الاليم .

ففي سنة ١٨٧٢ توفي والده جبرائيل ، تاركاً بين اسرته وفي نفوس عارفيه ، اطيب آثار التقوى والصلاح ، ولم يكد جرجي يُفرغ هذه الكأس حتى مدت اليه يد العناية الالهية كأساً ثانية لا تقل مرارةً عن الاولى . ففي سنة ١٨٧٤ قد توفيت والدته التقية وردة لاحقة بزوجها الى الديار السعيدة الخالدة .

فكانت هذه المحنة المزدوجة قاسية على قلبه ، ولكنه صبر عليها بفرح متعزياً عن تيتمه على الارض بالمحافظة على بنوته لله ، تلك البنوة المقدسة التي اخذها بالعماد والتثبيت ، وزادتها النعمة والتقوى رسوخاً في نفسه . على انه من فرط محبته لوالديه ، قد ابى الا ان يكون على بعض اتصال معهما بعد مماتهما ، ليس فقط بالصلوات الحارة ، بل ايضاً بابقائه امام عينيه احسن واشرف شي . منهما . فبعد سنتين من وفاتها فتح تابوتيهما

وأتى يجمعتهما وحفظهما في بيته كثراتٍ نفيسٍ يذكره بواجبه
البنوي نحوها .

ولعل هذه الفرصة الاليمة كانت له داعياً جديداً ليحاول
مرة ثانية ان يزهد بالدنيا ويذهب الى الدير .

وكان بين العملة المشتغلين في حانوت جرجي شاب من
دمشق يدعى يوسف الشامي . فاتفق جرجي سرأ مع هذا الشاب
سنة ١٨٧٥ على الهرب الى دير المخلص ، ولبت يتحين الظروف
لتنفيذ مقصده .

وكان وقتئذ في دمشق الاب الفاضل التقي فيلبس غرة
المخلصي . فهذا الاب كان قد خدم النفوس في مصر ، حيث
امتاز بفضائله الراهنة ورزاقته الكهنوتية ومحبه للاختلاء في
نفسه مع الله وحشمته الكاملة امام الجميع ، ولا سيما امام النساء .
للواتي لم يأذن لاحداهن طيلة حياته بان تاخذ يده لتقبلها . ولذلك
جميعه كان معتبراً عند رؤسائه ، وفي مقدمتهم البطريرك
غريغوريوس يوسف . فنظراً الى محبه للاختلاء والعزلة والى تعلقه
بالعيشة في الدير قد طلب من غبطته ان يعفيه من الخدمة في مصر .
ولكن البطريرك رفض عليه ذلك فارسله الى دمشق حيث تعين
رئيساً لآخوته الرهبان .

فبعد وصول الاب غرة الى دمشق ، تعرف جرجي اليه

واخذ معرفاً خاصاً. وقبل ان ينفذ عزمه بالذهاب الى الدير، عرض امره على هذا المرشد التقي، فلقى منه معاكسة شديدة حالت دون امنيته. وقد تاكد لذلك الاب ان انتظام جرجي بيطار في سلك الرهبانية يفقد دمشق والطائفة «رجلاً اخره الله لخير عظيم قد لا يتبها له القيام بجزء منه في حالة الرهبانية».

فوالحالة هذه اضطر جرجي الى العدول مؤقتاً عن فكرته واتفق على ان يسبقه رفيقه يوسف الشامي الى الدير ويلحقه هو فيما بعد. وكتذكّار لهذا الاتفاق ولاشتركا كهما في شغل النجارة قد أخذ رسمهما معاً في الخانوت، ثم ذهب يوسف الى الدير سنة ١٨٧٥. ولما عرفت والدته هرولت الى بيت جرجي بيطار وطلبت اليه بيكاً، ونحيب ان يرجع اليها ابنها. فطيب جرجي خاطرها وصرح لها باستعداده هو ايضاً للحاق بابنها تنفيذاً للخطة التي كانا قد اتفقا عليها فتركته تلك الوالدة راضية متعزية.

ولبت جرجي يتحين الفرصة لتتميم مقصده. بيد ان معرفه الفاضل الحاد الطبع، لم يحتمل ما لحظ فيه من الاصرار على فكرته، فبذل غاية جهده لاجباط مسعاه، وحمل البطيرك ورئيس الرهبانية المخلصية العام، الخوري سيمان نصر، على إقفال باب الدير في وجه جرجي. ثم بين له بكلام ابوي أن وجوده في العالم، بالنظر الى الخير العظيم الذي كان يفعله، خير من انتحاله

الدعوة الرهبانية ، على ما فيها من الفائدة لنفسه ، وان ارادة الله الظاهرة هي ان يبقى في السلك العالمي .

وحينذاك خضع جرجي باتم التسليم لامر الله ولكنه أخذ يعيش بروحه وقلبه وكل جوارح نفسه كأنه في الرهبانية . فع قيامه بشغله وبواجباته كعضو في جمعية مار منصور ، لم يترك العكوف على الزهد والتقشف والامامة والصلوات الكثيرة والمثابرة على التقرب الى الله بالاسرار المقدسة ، غير منقطع عن حضور القداس والاشتراك بمائدة الفادي يوماً واحداً . ' وكان يذوب حينئذ الى ما لم تقز به نفسه ، واعتبر هذا الاخفاق برهاناً على أنه لم يكن يستحق ان يمن الله عليه بتلك النعمة كما جاء في احدى رسائله الى الرئيس العام : « ايها الاب الحبيب وسيدي الجليل ، اني ارى ذاتي نظراً لعظم خطاياي ما استحققت ان اكون من عدد مصفكم الرهباني المقدس العفيف بل بقيت غارقاً في بحر هذا العالم ، نادياً ذاتي بدموع غزيرة انا الذي كنت دائماً اميل الى ترك العالم والذهاب الى الدير العامر لاشترك بجمعيتم المقدسة ، فما استحققت هذه الدعوة المقدسة الملائكية » .

ولشدة هيامه بالترهب وانتمائه الخاص الى الرهبانية ، كان يضيف الى توقيعه ، في كتاباته الى الرئاسة العامة ، حرفي ب م

(١) الاب نقولا ابو هنا : تأبين صاحب الترجمة .

(٢) الايكونومس استفانوس صقر سنة ١٩٠٤

الذين هم اشعار الرهبان الباسيليين المخلصين ، دلالة على رغبته السابقة الشديدة في ان يكون من عدادهم .

وقد بلغ جرجي السنة الاربعين من عمره ، عاشقاً في العالم كانه ليس من العالم ، ولذلك لم تظهر منه اقل رغبة في الزواج . فلحظ الامر آله ، واخصهم امرأة عمه يوسف بيطار المدعوة خانم قاضي ، شقيقة جرجي قاضي .

وكانت اسرة قاضي بدمشق ، معروفة ببقاها ووجاهتها وتقواها المسيحية الراهنة . فمنها نبغ حبران جليلان في الكنيسة هما البطريرك المثلث الرحمات ديمتريوس قاضي والمطران نقولاوس قاضي متروبوليت بصرى وهوران .

وكان جرجي قاضي المذكور في مقدمة اسرته وجاهة وتقوى ، وهو والد المطران نقولاوس قاضي ، والآنسة ماري قاضي . وكانت ماري هذه على جانب عظيم من التقوى الموروثة عن اسرتها ، وقد جمعت اليها اكل الصفات الطبيعية من جمال وكمال واخلاق عالية . ففي سنة ١٨٨٠ بلغت ماري الخامسة عشرة من عمرها . فتقدم ليخطبها ، كثير من الشبان من كبراء دمشق واغنيائها . اما هي فكانت بطاعتها البنوية خاضعة لارادة والدها التي ، الذي لم يغره الجاه العالمي بل فضل ان يؤمن مستقبل ابنته بخطبتها لاكل الشبان تقياً واخلاقاً مسيحية . على ان شقيقته خانم ، كانت تحدثت اليه عن جرجي بيطار ابن سلفها ،

ولم يكن شقيقها بحاجة الى برهان عن صفات ذلك الرجل الشاب ، لان صيته الطيب كان ذائعاً في اوساط دمشق وأحيائها .
غير ان جرجي قاضي كان يخشى ان لا يتوفق في خطبة ابنته لجرجي بيطار ، لسماعه انه يريد الانتظام في سلك الحياة الرهبانية .
ولكن البطريرك غريغوريوس يوسف الذي كان منع جرجي عن الذهاب الى الدير ، لم يقته أيضاً ان يسعى عند آله لزوجاه . وكان قد اتضح لجرجي ان الله تعالى يريد منه ان يخدمه في حالة الزواج .
وعلمت بالامر امرأة عمه يوسف ، واخبرت شقيقها فرضي بجرجي زوجاً لابنته ماري ، غير ملتفت الى كبر سنه ولا معتبر ان مقامه العالمي اقل من مقام غيره شأناً ، بل نظر فقط الى علو مقامه الادبي والروحي الحافل بالاخلاق العالية وباعمال التقوى والفضيلة . وكان الله تعالى قد صرف فكرة الزواج عن جرجي بيطار حتى بلغ السنة الاربعين من عمره ليُعدَّ له زوجة من تلك الابنة الفاضلة التي اضحت اعظم مساعده في رسالته على الارض اي خدمة المرضى « الفقراء اخوة يسوع المسيح » .

علي ان الروح الفائق الطبيعة الذي كان المبدأ الاسمي لحياة جرجي بيطار قد بين له عظمة سر الزواج فاستعد له بذلك التهيّب الرزين الهادى ، والورع الكامل . ولذلك اختلى مع نفسه ومع الله برياضة روحية اقامها في دير الالباء اللعازرين بدمشق مدة ثلاثة ايام

متوالية ، انقطع فيها عن العالم الى مناجاة الله بالصلاة والتأمل .
وعلى اثر تلك الرياضة التي اشبه بها طوبيا البار تم الاحتفال
بتكليه على الآتسة ماري قاضي سنة ١٨٨٠ .

فقرح آل الاسرتين ومعارفهم وجيرانهم ، واقبلوا يهنئون
العروسين وآلهما . وفي وسط تلك الافراح العائلية الطاهرة ، كان
جرجي ظاهراً امام الجميع بطلعة رزينة هادئة تُلطِّفها ابتسامه عذبة
فتبعث المحبة والمهابة في النفوس . واتفق ان كان في يوم العرس
عينه موعد اجتماع اخوية سيدة البشارة في الكنيسة
الكاتدرائية . فاستأذن جرجي جمهور المهنيين ، ولم يثقل عليه
وعليهم ان يذهب الى الكنيسة لحضور فرض الاخوية التي كان
هو عضواً منها ، ولم يعجب الجمهور من هذه البادرة النادرة ، لعلمهم
ان التقوى هي عند جرجي ألد الافراح على الارض . وبعد
الانتهاء من صلاة فرض الاخوية ، لبث في الكنيسة وقتاً غير
وجيزاً كعادته امام ايقونة سيدة البشارة ، وجاعلاً زواجه تحت حماية
العدراء المحببة شفيعته الخاصة . ثم عاد الى بيته فرحاً بأنه اتم
ارادة الله المقدسة .

وقد شعر هذا الزوج المبارك ، بتعزية المساعدة المسيحية
المتبادلة في عمل الخير . فكانت ماري تقرن الهمة والنشاط في
التدبير المنزلي بالايمان الحي ، مساعدة زوجها في خدمة المرضى
والفقراء . بيد ان اتحادهما كان اشد ارتباطاً في التبعيد لله تعالى

بالصلوات المشتركة فكانا يذهبان معاً الى الكنيسة لحضور القداس الالهى وتناول جسد الرب ودمه. وعلى الرغم من اتعابهما وتضحياتهما الكثيرة في خدمة القريب في ذلك الوقت الذي كان يخفّ فيه عند عائلات كثيرة روح الامانة والتكشف كانا يحافظان بتدقيق مقدس على كل الصيامات والقطاعات التي تأمر بها الكنيسة على مدار السنة. وكان كثيرون من زوار دمشق يذهبون الى حانوت جرجي بيطار ليشتروا من بدائع فنه، ويتفق ان يكثر عددهم ايام الاحاد والاعياد. اما جرجي فكان يغلّق في هذه الايام المقدسة ابواب حانوته مفضلاً ان يُنزل الله على بيته بركات السماء ونعمها.

على ان روح ايمانه كان يظهر بنوع اشد تأثيراً في خفية منزله العائلي حيث كان يقيم الصلوات الحارة بالاشتراك مع زوجته ويقرأ الكتب التقوية وسير القديسين الذين كان يدعوهم « اخواناً لنا بالنفس ».

واذ كان جرجي يتذكر الحالة الرهبانية بحنين وشوق فقد سأل الله تعالى ان يدعو اليها اول ولد يرزقه اياه. وقد بارك عز وجل هذا الزواج المقدس وانبث منه ذرية كثيرة وصالحة. ولما كان جرجي قد وضع حياته الزوجية تحت حماية العذراء مريم فكل مرة كان يمن الله عليه بمولود كان يذهب يوم ميلاده الى الكنيسة ويقف

امام ايقونة العذراء سيدة البشارة في صندوقها شيئاً من الدراهم ثم يطلب منها طلباً خاصاً واحداً من امرين : إما ان تأخذ اليها الولد صغيراً قبل ان يعرف الخير من الشر ان كانت مستدركة انه لن يعيش عيشة صالحة، وإما ان تبقيه في قيد الحياة ان كانت راضية عنه .

في سنة ١٨٨١ ولدت ابنته الاولى فدعاها حنينة . فذهب جرجي الى الكنيسة ليشكر الله على هذه النعمة، ولعله كان ينتظر مولوداً ذكراً ليقدمه لخدمة مذابح الرب . فشمّل الفرح آل الزوجين وجيرانهما فاقبلوا على تهنئتهما .

ولكن هذا الفرح لم يطل لان محنة جديدة كانت مُعدّة لايمان جرجي وصبره . في تلك السنة عينها بلغه ان شقيقه الحوري يوحنا رئيس دير معلولا قد افتقده الله بجمي خبيثة . فذهب اليه صحة قرينته الامينة ماري واخذا يعتنيان به ويصليان الى الله لاجل شفائه . وكان حكم الله نافذاً ففاضت نفس ذلك الكاهن الفاضل بين يدي شقيقه وقضى مأسوفاً على شبابه في السنة الحادية والثلاثين من عمره ودفن في كنيسة الدير .

ورجع جرجي الى دمشق حزيناً ولكن متعزياً بخضوعه التام لارادة الله . ولم تمض السنة التالية سنة ١٨٨٢ حتى رزقه الله ابناً بكرأ سماه جبران . فخصّصه لله منذ صباه على ان يقدمه

فما بعد قرباناً لله وخادماً للهيكل المقدسة فكان له حساباً ثقي .
والظاهر ان جرجي كان قد نذر ابنه هذا لدير المخلص ، وهي عادة
حميدة كانت مألوفة في ذلك العهد . ولذلك ذهب جرجي بيطار الى
دير المخلص سنة ١٨٨٣ صحبة امرأته وولديه الطفلين .

ولا يبعد ان يكون جرجي قد سافر الى ذلك الدير بناء على دعوة
خاصة من الرئيس العام ، الياس حجار ، ليشتغل الواجهة الخشبية
المركبة فوق ايكونستاس الكنيسة ، مع الصليبوت ذات الحفر
الجميل كجزء منه . وقد جاءت على يد جرجي بيطار آية في الاتقان
والابداع وتحفة في فن التطعيم بالخشب الجوزي . واشتغل ايضاً
العرش الحبري القائم خلف الهيكل الكبير ، تحيط به كراسي
الكهنة ، وهي بانار بدائعها ، آية في حسن الذوق وجمال الهندسة .
وقضى جرجي في ذلك الدير ، بضعة اشهر ظهرت في خلالها
تقواه النادرة وفضيلته الراهنة . فكان هناك كأنه واحد من
الرهبان ، يُبكر الى مشاركتهم في صلواتهم الفرضية ويقضي
الوقت منذ ابتداء التأمل الروحي الى الفرض الى قانون الايمان
في القداس ، وهو واقف بكل تهيب وخشوع ، ومن قانون
الايمان الى آخر القداس يلبث راعياً مستويماً دون ان يتكلم
على شيء . بته . وما اجمل تواضعه حين كان يؤثر تناول الطعام مع
الرهبان على مائدتهم فكان الرئيس العام يدعوه ليجلس بقربهم فيأبى
الا ان يجلس في آخر المائدة بعد اصغر الرهبان ا
(يتبع)

الحياة الرهبانية

بقلم الاب جورج غبريل ب م

للحياة الرهبانية علاقة بالله وبالكنيسة ، وبالنفوس وبالجمتمع البشري . لها علاقة بالله اولاً لانها تقوم بخدمته جهاراً دون قيد ولا مانع . ولا تكتفي بحفظ وصاياه بل ترمي الى إكمال مشوراته ايضاً . يجد الله في الحياة الرهبانية جيشه المهيأ للحرب ، وكتيبته المحفوظة للأعمال المقدسة ، وموكبه الشرفي ، وطعمته المشيدة له بالمدايح ، وآل بيته المتشبهين بالمجدلية الجاثية أمام قدميه ، والآخذة لها الحظ الذي لا ينزع منها .

الحياة الرهبانية لها علاقة بالكنيسة ثانياً ، فهي منها الجزء المعتبر والجوهري ، هي القلب هي الحياة المسيحية باجلى مظاهر الكمال والقداسة . وعلاوة على ذلك ؛ الطغمت الرهبانية هي جيشها المهيأ والمعد لمقاومة اعدائها . ان الرهبان الخاضعين للبابا والاساقفة والمساعدين لكهنة الاكبرس العلماني بما انهم معقون من خدمة النفوس والرعاية يكتفون بأكثر سهولة وأعظم فائدة ان يتفرغوا للامور السماوية من صلاة وأعمال غيرة .

اما النفوس المدعوة الى كمال أعظم فتجد في الحياة الرهبانية

(١) معربة بتصرف عن كتاب الكنوز الخطائية الذي اقتطفه

المنسيور دوبله (Mgr. Doublet) من مؤلفات القديس يوحنا فم الذهب .

ما لا يمكن حياة العالم ان تعطيه لها عنيت بذلك الوحدة والتجرد والقانون والمنافسة العمومية والقوة التي توليها النذور والتسهيلات الكثيرة والوسائط الجمة المساعدة على اكتساب القداسة ، وعليه فمن يقاوم الحياة الرهبانية او يحول دون الدخول فيها ، فقد ارتكب اثماً عظيماً ينافي اعظم الحريات قداسةً ، اعني التخصّص لله بمطاوعة صوته .

اما المجتمع البشري فهل يمكنه أن يتخلى عن الحياة الرهبانية؟ لا لعمرى . لانه إن فعل يكون ذلك منه جنوناً . إنه يجد في عمل الرهبان ما يكفل له السلام والراحة والقوة . فيما بين عناصر الشر التي تتنازعها يمكنه أن يعتمد الرهبان الذين هم عمدة كل نظام وترتيب ، وخصوم كل شر ، والعملية الذين لا يكفون في سبيل كل عمران ومدنية صحيحة .

ولكي نحيط علماً بالحياة الرهبانية ندرسها اولاً بجد ذاتها ثم ننظر الى التأثيرات التي تصدرها في المحيط الذي يكتنفها ، وبعد ذلك نتكلم عن مسألة الدعوة ، أخيراً نلقي نظرة اسف هي في الوقت نفسه نظرة ثقة على الاضطهادات التي تكون الحياة الرهبانية ضحيتها .

اولاً - حياة الرهبان

لا يكون عندنا إلمام بالحياة الرهبانية إلا متى دخلنا أحد الاديار ، واتبعنا الراهب في كل أعماله وقارينه الروحية ، التي منها

يتألف نهاره ، وسمعنا احاديثة الحاملة على الخير وحضرنا ساعاته
الاخيرة التي فيها ينتصر على الموت .

انها حياة سماوية : لندخل الى المسكن ولننتعج الراهب في
احد ايامه .

١ - مسكن الرهبان : اول ما يؤثر فينا هو الهدوء والصمت
والسلام . لانكاد نتجاوز العتبة حتى ننسى اضطرابات العالم التي
تتعب آذاننا ونفوسنا . ان زواجع البحر الهائج تتلاشى امام هذه
المساكن السعيدة . هنا المرفأ الهادى ، والامين الذي ينجي من
العواصف والغرق كل اللاجئين اليه . على ضفاف البحار ترفع
المنائر لثُرَي الصخور كذلك مساكن الرهبان . انها منائر لامعة
بالنور الالهى ، تنير بصائرنا فيما بين اخطار هذا العالم وتدلنا على
الطريق المؤدية الى السموات .

أما سكون الاديار فليس الا دليلاً على سكون النفس . ان
الراهب في ديره كالجندي في خيمته محرراً من مطامع العالم
وشهوات الحياة ورفاهية المعيشة ، مجتهد في اكتساب السموات
العليا ، لا يعرف مسكناً ثابتاً ، ولا يقيم في منزل دائم بل يتابع
غزواته الحربية ولا يعرف الا ميادين الحرب .

هل نحن بحاجة الى تشابيه غير هذه ؟ اسمعوا : الاديرة
للرهبان كالفردوس الارضي لايبنا الا اول آدم في حال برارته ، فان
ما يفعل الرهبان في أديارهم هو نفس ما كان يفعله آدم في البدء

قبل أن يخطأ لما كان متسربلاً بالمجد، ويتحدث بجل الحرية مع الله تعالى. لا تتيسر لنا هذه المحادثات السامية الحلوة في العالم وفي الحالة الدنيوية، فان الأراجيف والاضطرابات تسكت اصوات النفس وكلام الله.

هل زيد احياناً ان تترك الارض لأجل السماء، والوقت اكراماً للأبدية؟ فلنزر الرهبان في صوامعهم الصامته ولنحضر ترتيب نهارهم.

٢ - نهار الرهبان : يتدئ نهار الراهب عند الفجر، وكثيرون منهم يهبون بعد أن يكونوا سهرًا ومعظم الليل. اي فرق بين نهوض الراهب ونهوضنا نحن العلمانيين؟ ان نهوضنا بطيء يرافقه الكسل والطيش. بعد أن نشبع الجسد من لذة النوم نهض عابسين ومتململين او مشتتين بأفكار وخواطر عالمية، قد تسلطت علينا شهوات العالم، قد التحقت بنا ذكريات فاسدة واكتنفتنا ملاءجة تبعدنا عن ذكر الله.

قبل ان نفكر بنفسنا نجعل همنا في العناية بالجسد والزينة الباطلة. اما نهوض الراهب فهو على غير ما ذكر. أنظروه وقد هب بسرعة ونشاط، ينهض من مرقدته والأفكار المقدسة ملء نفسه والصلاة ملء فيه. كما كان رقاده طاهراً نقياً كذلك يكون نهوضه فرحاً نقياً. يسرع في لبس عباوته الخشنة ويتهباً للتأمل الالهي. انه لفرق عظيم بين منظر الدير عند نهوض

الرهبان وبين منظر المسكن العائلي وضجيجه المختلف واصواته المتنافرة ورواحه ومجيئه واصوات الاولاد واضطرابات الخدم ، وما ابعد الله عن النفس في مثل هذه الحال فان امواج الهموم العالمية تتناولها وتغمرها .

لنتبع الرهبان الذاهبين الى بيت الصلاة ، لان اول شغل يفرض عليهم هو مديح الله . انهم بعد نهوضهم يقومون بترنيم النبؤات بكل لذة ، نفسهم تمتلئ من الخيرات الالهية وقلوبهم يفيض بمواظف العبادة والحب والخوف التي يسكبها في قلوبهم كلام الله المقدس . في خلال تلك الساعات التي فيها يتلون الفروض يتذكرون كل مواضع الوحي واحداً فواحداً .

بعد ان يتلو الرهبان فرضهم في الخورص يدخلون صوامعهم ويلزمون الصمت ويعكفون على اتمام قراءة الكتب المقدسة مكملين ترانيمهم السماوية . ثم يعودون الى الكنيسة ليكملوا تلاوة الفرض الالهى المرسوم عليهم . ليس عندهم ساعة خالية من العمل ولو كانوا في اعتبار الناس بطالين . فالصلاة يعقبها الشغل وهو يختلف بحسب مقدرة كل شخص واستعداداته وبحسب عوائد الرهبنة واحتياجات الجمعية .

لا يفكر الرهبان في تغذية جسدهم الا بعد قضاء صلواتهم الطويلة واشغالهم الكثيرة . واذا دخلت الى مائدتهم وجدت القناعة والتقتير في المعيشة وتجلت لك فيها روح التوبة . فبدل

الموائد المصنوف عليها الانواع الشبيهة من الطعام والشراب التي تراها على موائد العلمانيين تجدد على موائد الرهبان الخبز والبقول وبعض الثمار احياناً . ولنضربنّ صفحاً عن الصيامات الكثيرة التي يحافظون عليها والتي هي في عرفنا مجاعات لا تحتمل . نحن نضحك بقمقهة وناكل بشراهة ونزهو بعظمة اما الرهبان فانهم بعكس ذلك قانعون وصامتون . فيما يغذي الرهبان جسدهم من هذه المآكل الفقرية تتملأ نفوسهم من الافكار المقدسة . فيما هم يأكلون يكون عقلهم مشغولاً بالقراءة الروحية التي يسمعونها وحالما يقومون عن الغذاء، يعودون الى الصلاة .

بما ان الرهبان تدرّبوا على الامانة والسكينة والفضيلة والافكار السماوية والاشتياق الى الامور الالهية فاحاديثهم هي مقدسة كنفسهم وحلوة كسلامهم ولذيذة كلطفهم الجذاب . لا تسألهم عن احاديث هذا العالم فانهم يجهلونها . انهم ساكنون السماء منذ اليوم ولذلك يتكلمون بما فيها . بما انهم متحدون بالله فلذلك يتكلمون عن الله وعظائمه ومراحمه ومواعيده . واذا كهوك عن هذه الحياة فلكي يجبروك باخطارها واوهامها ، ويجشوك على مقاومة الجحيم ومحاربة العالم الشرير ، فهم لا يتكلمون عن امور هذه الدنيا بل عن الملك العلوي ، عن محاربة الدهر الحاضر ودسائس الشيطان ومكايدته . ويعرفون حق المعرفة ان يبينوا لك قوة وجمال القداسة من اعمال القديسين .

اذا كانت حياة الرهبان جميلة وشريفة فما القول عن موتهم ؟
 ان موتهم هو انتصارهم ، موتهم هو الساعة التي يعظم فرحهم .
 يسمون موتهم « سفرهم » فان الموت ينقذهم من هذه الحياة
 الدنيا ليدخلهم في السموات . ولاجل ذلك يشيدون بمدائح انتصار
 أمام بقايا اخيهم الراحل . يلبس الدير يوم موت الراهب حلة
 السرور بدل شارات الحداد التي ترفرف في منازلنا . واذا كان
 الراهب عظيماً في اعماله مدة حياته فانه اعظم في مماته .

حياة الراهب حياة ملكية : من أحب ان يشبه حياة

الراهب بحياة الملك فما يغلط . بيد اننا هنا نصطدم باوهام العالم
 الباطلة واحكامه الفاسدة فانه لا يتأثر الا من مظهر الاشياء
 الخارجي اما قيمتها الداخلية الحقيقية فلا يبالي بها . ان الملك
 المعتلي مركبة جميلة ومحفوفة بالحرس المسبوق بالمنادين يدهش
 الشعب الذي يهلل له ، اما الراهب فانه يعبر صامتاً دون ان يراه
 احد . هذا اذا لم تلحق به اهانة .

لنعمل الروية في هذه المسألة ، اي الاثنين اجدر بان نسميه
 ملكاً ؟ ومن من الاثنين يجد الى الملك سبيلاً ايسر مرماً ؟ اهو
 الملك الذي لم يتوصل الى سلطانه الا ببذل جهود كثيرة ، وذهب
 كثير ، ودم كثير غالب الاحيان ، ام الراهب الذي لبس برفيره
 الملكي بفعل من ارادته ؟

اي الاثنين ملكٌ بالاكتر ؟ لننظر الى كليهما : - ١ في ممارسة

الملك . - ٢ في الحروب التي تنشب مدافعة عن المملكة . - ٣ في تفاصيل الأعمال اليومية . - ٤ في عمل الاحسان بسخاء . - ٥ في يوم الانكسار وفقدانه الملك . - ٦ عند الموت وبعده .

١- في ممارسة الملك : ان تدبير المملكة لواسع وعظيم ، ففي يد السلطان (ملوك) كل شيء ، وكل شيء مسموح له ، الجميع يخضعون له الافراد والجمهير ، المدن والقرى ، الامراء وكل فرد من رعاياه .

على ان هذه السلطة هي خارجية ولا تسيطر على الاجساد . اما مملكة الراهب فارفع واقوى ، وسلطته تمتد الى ذاته ، وصولاً الى تسلط على اقطار الجسد الواسعة : العقل والقلب والارادة والاهواء والعواطف ، كل هذه القوى تحت ولاية النفس وتطيع امرها السامي .

« ان الملك في الحقيقة هو ذلك الذي يضبط الجسد والشهوة ويجري في كل شيء ، بحسب شريعة الله حافظاً حرية عقله وغير تارك اللذة ان تستولي على نفسه » . الملك الخاضع لاهوائه لا يمكن ان يسمى ملكاً حقيقياً كما ان الراهب السائد على اهوائه لا يمكن الا ان يكون ملكاً .

٢- في الحروب : ما اشد عظمة ومهابة الملك العائد من الحروب ظافراً باعدائه القائمين على اطراف مملكته . ولو كنا نتجاوز حدود هذا العالم ، لرأينا حروباً أعظم واشهر ، واعداءً اشد واقوى ،

وساحات حرب تمتد الى السماء تترأض فيها جحافل جهنمية .
على هذه الساحات يظهر الراهب غالباً الجحيم ، فاتحاً مجيداً لا يؤتي
في نصره الا غلبة ابدية .

واذا لم نتوقف في مقابلتنا هاتين الحربين عند ظروف
الصدام بل نظرنا في اسباب اشتباكهما فعندئذ يظهر الراهب اعظم
واشرف فان الملك يجارب لغايات بشرية زائلة اما الراهب فيجاهد
في سبيل الله والنفوس والملك الابدي والغلبة على القوى الخيفة
التي تكبل وتفسد وتهلك الجنس البشري

٣ - في تفاصيل الاعمال والحياة اليومية : لكل شغل من
الاشغال العادية حالة نفسية تقابله ، ولما كانت اعمال واشغال
الرهبان سماوية لان ما يستغرق اوقاتهم هو قراءة ودرس الكتب
الالهية كانت نفوسهم مشبعة من الامور السماوية بما انها ملتصقة
بالاشخاص والامور الالهية . اما الملك فانما يفني ساعاته بالاعمال
العمومية واستقبال الوزراء واشياء اخر كثيرة تقربه من الارض
شان الاعمال التي يقوم بها . ان نوم الراهب ليس الا مواصلة
الافكار والتأثيرات التي كانت تدور في ذهنه سحابة النهار ،
يحلم بالسماء كما كان يفكر بها في اليقظة ، اما الملك فينام وقلبه
مضطرب بامور مملكته او مثقل بالوان المآكل او تعب من
الافراط في السهر ، حتى لو اراد الملك ان يرتدي ثيابه الملكية
فلا بد له من تعب ، اما الراهب فيلبس عباءته باسع من لمح

البصر ويمضي بخفة ونشاط الى اعماله .
 اذا اراد الملك الخروج من قصره فنظام التشريفات الذي لا
 يفارقه يثقل خطواته ويعربس سيره فلا يستطيع يوماً ان يجول في
 مملكته دون ان يسوم رعاياه المصاريف الطائلة باكثر من اسعافه
 اياهم . اما الراهب اذا سافر فلا يترك وراءه الا الافراح والنعيم اذ
 الاغنياء والفقراء ينتفعون من قدومه على السواء . (يتبع)

اعجوبة القربان المقدس

منقولة عن الافرنسية ببعض تصرف

بينما كان احد مرسلي افريقية جالساً في منبر الاعتراف والمؤمنون يتواردون
 اليه ، اذا باحد الفتيان الموعوظين يصل اليه ويبتدره بالكلام قائلاً : « يا ابي ،
 اني محتاج الى مكلمتك على عجل . » فلما سمع الكاهن هذا النداء المعجل خرج
 من منبر الاعتراف ففاجأه الفتى بالكلام قائلاً : « يا ابي ، ان وطأة المرض قد
 ثقلت على « ثقلة » وهي تريد ان تراك كيفما كان الامر . »
 فاجاب الكاهن : « هذا محال الآن يا بني ، الاترى الجمع الغفير الذي
 يحيط بي وقد اتى اليّ من امكنة بعيدة ؟ فسأذهب غداً . » فالح
 الفتى : « ارجوك يا ابي ، ان لا ترجى هذه الزيارة للغد ، فان ثقلة مدنفه وهي
 متشوقة ان تراك قبل ان تنتقل من هذه الدنيا . » وزاد قائلاً : « يا ابي ، إن
 المكان لا يبعد من هنا اكثر من خمس ساعات . »
 فالكاهن الغيور لم يستطع الابطاء ازاء هذه الضرورة الماسة ، فاستأذن
 الشعب وتوجه الى بيت القربان فحمل جسد الرب وسار مع الفتى .
 وبعد ثلاث ساعات من الطريق وصلا الى ضفة نهر عظيم قد طفت امواجه

لما تدفّع إليه من السيول المنهمرة من كل السفوح المناوحة . وكانت المياه شديدة تجرف الصخور والاشجار وتلتهم ذات اليمين وذات الشمال، حتى غدا النهر صعب المسلك هائلاً يقف المسافر على ضفته حائراً امام تلك العناصر الثائرة المتعوجة . فان الاشجار التي جذبتها المياه كانت تارة يقذف بعضها بعضاً ، وطوراً تعترض في مجرى النهر فتكون مزلق ومهاوي ترتعد لنظرها الفرائص فرقاً واحياناً كثيرة كانت تنتشر على الضفاف كأنها تمد اغصانها الى مساعدة المسافرين المسكينين .

وعلى ما هنالك من الهول الشديد فقد وطن الكاهن نفسه على عبور ذلك النهر المصطخب ، واذا ببعض الموعوظين يهتفون به من الضفة الثانية : « رويدك يا ابانا ، لا تعبر ، فنذ ثمانية ايام لم ينبج احد من الذين حاولوا عبور هذه الامواج . . . ان فرس الماء جاثم في وسط النهر كالصخرة العظيمة وهو يفتأس كل من يقتحم الغمر . »

فتحير الكاهن امام هذا المشهد الهائل ، وطلب الى يسوع الذي يحمله الى صدره في القربان الاقدس . ماذا يفعل . واذا بالفتى يصيح مرتجفاً : « يا ابنت ، اني مع هذا كله قد عبرت منذ هنيهة . » وكان ما يقوله صحيحاً ، فاذن ان يستحيل العبور على الكاهن .

فعبج الفتيان لتلك الجرأة المقدسة ، وصاحوا مذعورين : « الانعود نراك فيما بعد يا ابانا ؟ »

فاجاب الكاهن البار : « على بركة الله يا بني ولكن لا بد من العبور فسأعبر وحدي ! »

ولما سمع الفتى ذلك توسل اليه ان يأذن له بمرافقته ، وفي الحال جثا اولئك الموعوظون كلهم على الضفة النهر واخذوا يصلون : « اذكري يا مريم . . . ثم شرع الكاهن والفتى يجتازان المياه فبلغا في وسط النهر دون معارض ، وسارا متحذرين والرجاء يجدهما . . . واذا بالماء يدور من حولهما ويفور ورأس الحيوان الشنيع ينبثق من الماء . . . »

فما العمل يا ترى وقد استحال الهرب ، والحيوان على مقربة منهما ،
يتحفظ للوثوب عليها ؟

ولقد تمثلت تلك الالهوال في نفس المرسل وايقن بالهلاك المحتم ، فرفع يده
واعطى الفتى الحلة الاخيرة ثم ناوله وطلب معونة العذراء وتأهب للمناولة هو
ايضاً . ولكنه عاد فوطد رجلاه بمراحم الله فرفع القربان المقدس بينه وبين
الحيوان ، وطلب الى الله في صلاة حارة ان يجري اعجوبة لاجل الفتاة المدنفة .
وفي تلك اللحظة عينها اذ اقترب الحيوان من فريسته وثب وثبة هائلة الى
الوراء مذعوراً من قوة الاله المتحجب في تلك القربانة الصغيرة واندفع الى
الشاطئ . مجدلاً قتيلاً .

فما ترى كانت عواطف ذينك المسكينين لدى هذا المشهد المخوف ؟ لا جرم
ان معرفة الجميل كانت تملأ قلبيهما . فأكلا مسيرهما الشاق حتى وصلا الى
الوحش المجندل على الحضيض فتفرسا في جثته الضخمة شاكرين الله المخلص الذي
نجاهما من شر ذلك الحيوان المفترس ، ثم تابعا سيرهما الى القرية حيث الفتاة
المريضة . فهذه المسكينة اذ شعرت بقدميهما جمعت ما كان بقي من قواها
وحيتها بسرور وقالت : « يا ابنتي لقد كنت متيقنة ان يسوع لا يدعني اموت
قبل ان اعمل مناويتي الاولى . فاني توسلت اليه كثيراً في هذا الامر ، وها هو
قد اجاب مبتغاي . »

وكانت الفتاة في حالة الخطر حتى ان الكاهن لم يكن له الا الوقت الكافي
ليسمع اعترافها ويناولها تلك القربانة العجيبة ، وبعد هذا انطفأ سراج حياتها
بكل هدوء وسلام وانطلقت الى السماء تشكر الاله الذي طالما حنت الى قبوله
على هذه الارض .

فن هذه القصة نرى كيف ان ايمان المرسل وشجاعة الفتى ، وصلابة الابنة
المتواضعة نالت من الله هذه الآية الخاصة اعجوبة القربان المقدس .



اهم اخبار الرهبانية

قد ارجأنا اخبار شهري تموز وآب الى العدد المقبل لنفسح المجال لترجمة المثلث الرحمات الارشمندريت باسيلوس شحادة الرئيس العام السابق ووصف مآثمه .

« ادارة الرسالة »



خطب جلد

فُجعت رهبانيتنا المخلصية في التاسع والعشرين من شهر تموز الفارط بانهميار ركن من أجل اركانها ، وفقد عين من نخبة اعيانها ، ورجل من خيرة رجالها ، بل رسول كريم من أنشط رسلها وعمالها ، قدوة التقي والفضل والكمال ، والمشار الى زهادته وغيرته وقد كان فيها اقوم مثال ، الراهب المخلص لربه في سره واعلانه ، والكاهن الجليل المتحلي باجمل فضائل الكهنوت في اقواله واعماله ، وقلبه ولسانه ، المأسوف كثيراً على حسناته التي تضيءُ بمثلها الايام ، ومبارته التي تقصر دون عدها سوابق الاقلام ، المثلث الرحمات المبكية مآثره العظام ،

الارشمندريت باسيلوس شحادة الباسيلي المخلصي

استأثرت به رحمة ربه غبَّ مرض طالت عليه بُرحاؤه ، حتى عَيَّ دون تشخيصه وعلاجه اطباؤه ، فكابد شدائد آلامه باجمل الصبر والتسليم ، خاضعاً

فيه لمراسيم العناية الالهية كما يليق بتلك النفس الزكية وذلك القلب الكريم ، وكان ما اشتدت عليه وطأة الداء ، يخففها عنه بكثرة الصلاة وذكر الله واستشفاع الام البتول وسائر القديسين ، ويتنعم على مهد اوجاعه من مائدة الخلاص بقوت نفسه وغذاء البررة الصالحين ، حتى لفظ انفاسه الاخيرة وهو على اتم الأبهة بما تزود من اكرم الزاد لرحلة الابد ، واستقبال وجه ربه بنفس طاهرة خدمت ربه طول الحياة بنزاهة الضمير والقلب واليد ، فعلمنا في شذائد مرضه ومماته اجل درس طالما التي علينا أمثولاته في إبان صحته ايام شبابه وكهولته وفي سائر حياته .

ترجمته

هو شكري بن محول شحادة من الفرزل تلك البلدة المسيحية الطيبة الواقعة على مسافة قريبة من زحلة الى الشرق الشمالي ، وطالما اشتهر سكانها بمنعمهم وبأسهم وثقاهم وتعلقهم الشديد برهبانيتنا الخلصية . في هذه البلدة المسيحية الثقية ولد فقيدنا الجليل سنة ١٨٧٠ فوضع واغتذى من والديه وتلك البيئة الصالحة انتى خلال التقي والفضل كما استفاد صلابة العزم وقوة الارادة ومثانة الفضل والاقدام والنشاط على العمل في حراثة الارض وما اليها من كدٍ وجدٍ ونصبٍ حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره فاحب الانقطاع عن الدنيا والزهد في أباطيلها والتجرد لخدمة الله والكنيسة فقصد دير المخلص وانتظم في سلك المبتدئين بالحياة الرهبانية في اليوم التاسع من كانون الاول سنة ١٨٨٩ ودعي باسم زكريا .

ليس في سجلنا الرهباني كلمة عن حياة الفقيه في دير الابتداء . ولكن زملاءه ومعاشريه منذ ذلك العهد يروون عنه اطيب الاخبار من اتضاع وطاعة وإكباب على تشرب الحياة الروحية والواجبات الرهبانية والاجتهاد العنيف في العمل والدرس وهو لم يكن يعرف الا القراءة البسيطة على علاتها . فأخذ

يجمع الى الاهتمام الكلي بواجباته الروحية والاعمال اليدوية التي يُعهد اليه فيها ، اهتمامه بدرس مبادئ الصرف والنحو حتى ملاء عيون وقلوب رؤسائه واخوانه المتبتئين هيبَةً واحتراماً فاقترع له من اجل النذور الرهبانية وبعد رياضة روحية اختلى فيها تأهباً واستعداداً نذر في اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٨٩١ عن يد الرئيس العام حينئذ المرحوم الخوري غريغوريوس نعمة ودعي باسيلوس .

ويدلنا على حسن سلوك الراهب الجديد وما امتاز به من الرصانة وتهذيب الاخلاق انه حين دخوله الى مدرسة الرهبانية اقيم ناظراً على جمهور الطلبة فكان مثلاً لهم في الاجتهاد والقيام بالواجبات كما كان مثلاً في الاقبال على التحصيل لا يُدانيه كسل ولا يأخذه ملال حتى اصاب قسطاً صالحاً من كل المعارف والعلوم التي كانت تدرس لعهده في مدرستنا الرهبانية بل تفوق كثيراً على اقرانه . ومع هذا فحينما استدعاه الرؤساء ليتدرج في الدرجات الكهنوتية ألح وبكى كثيراً مستعظفاً اياهم لئلا يسمحو ببقائه في المدرسة تلميذاً يعيد ما درسه فيها لذلك الحد . وما كان اشد سروره حينما أُجيب ملتسمة في مراجعة الدروس الثانوية والاولية حتى تمكن منها وبرع فيها فانقن اللاهوت النظري والادبي والرياضيات ونبغ في اللغة العربية نبوغاً لم يتقدم عليه فيه سوى استاذ العلامة المطران غريغوريوس الحجار .

وبعد ان اقام ثماني سنوات دارساً وناظراً سيم شماساً انجيلياً في دير القمر يوم عيد التجلي في السادس من شهر آب سنة ١٨٩٩ من يد المثلث الرحمات المطران باسيلوس الحجار ، وفي السنة نفسها سيم كاهناً من يد المطران المذكور وبقي في المدرسة الرهبانية استاذاً للغة العربية يدرس الصفوف العالية صرف اللغة ونحوها وبيانها وآدابها ، ويعاون الرئيس في ادارة شؤونها العلمية والمادية .

لما خرج صفنا من دير الابتداء الى المدرسة في ١٢ حزيران سنة ١٩٠٣ كان فقيداً جليل مدير الدروس واستاذاً اعلى للغة العربية فيها وهو حين ذاك عُضُّ الاهداب في السنة الثالثة والثلاثين من عمره وكنا نشهد نشاطه بل حدثه في

اتمام واجباته والعناية بالتلاميذ كلهم يعهدهم اجمالاً وافراداً كلام الرؤوم والاب الكريم العطوف يهتم بكل فرد منهم ويتفقد حاجاتهم ويسهر عليهم ويعنى كل العناية بكل فرقة وبكل واحد منها بحيث لا ينتهي من التدريس حتى يُشغل بالرعاية والنظارة وكان هو يقوم بطلب ما يحتاج اليه التلاميذ من كسوة ويوفر اسباب الراحة لهم ويعد وسائل التزه الكبيرة بكل لوازمها وهو يهتم بكل مريض وسقيم منهم حتى كان في المدرسة كلاً لكل وكان الجميع يحبونه ويحترمونه اجلّ محبة واحترام .

اما اجتهاده في التدريس والتلقين فحدث عنه ولا حرج . لقد كان أشبه بالنحلة حدة وافادة فاذا اخذ بالشرح تراه أشبه بخطيب يفصل الكلام تفصيلاً ويلقي بلهجة سديدة فصيحة مؤيداً كلامه بالادلة والشواهد بحيث يجعل المثالة على حبل الذراع قريبة المتناول ، ثم يقترح على تلامذته تريبناً يكتبونه إما اعراب بعض جمل او أبيات او حل اشعار الى نثر او انشاءً مقالة او رسالة حتى ليجتمع عنده كل ليلة لا اقل من اربعين دفترأ يصلح ما فيها كلها واحداً واحداً فلا يجد منقفاً الا اصلحه ، وغالباً كان يضرب على اكثر ما يكتبه الطلبة من حل منظوم او انشاءً . ويكتب بقله لكل تلميذ دفعة واحدة وباشكال وصور متنوعة الابيات التي اقترح نثرها او الرسالة او المقالة المطلوبة حتى نستطيع القول انه كان يكتب كل يوم عشر رسائل وعشر مقالات ما عدا حل الاشعار واصلاح تارين الصرف والنحو والمعاني والبيان . وكان يتجرى في كتابته السلاسة والحزالة والحدة ويردد على مسامعنا كلمة لبعض الأعراب : « خير الكلام ما يحط الجندل ويفت الخردل » مشيراً الى قوة الكلام وحدته .

وانت اذا تأملت في هذا العنت الذي كان يأخذ به نفسه مع تدقيقه الشديد في تلاوة الصلوات الفرضية والنافلة وسائر التمارين الروحية وقيامه بأعباء الادارة العلمية والمادية ومرافقته للتلاميذ في اوقات ألعابهم وتزهاتهم ، علمت انه كان يجمع نفسه بأشد الجهاد ولم تعجب من ان ذلك الهيكل الموثق والعضل الشديد

يرزح تحت اقبال مرض برح به وشواه مجمى لاهبة كادت تؤدي بحياته الثمينة منذ ثلاثين سنة لولا عناية من الله حفظته ليم شوطه ويكمل الجهاد الذي دعي اليه .

كانت الرهبانية كلها تنظر نظرة حب واحترام الى الاب باسيليوس شحادة مدير مدرستها واستاذ اللغة العربية فيها والمرشد الروحي لتلامذتها ولجمهور الرهبان ، يُنتدب للقاء المواعظ عليهم مرات في السنة فيلبي بما عُهد فيه من الغيرة ومضآء العزيمة وكان لكلامه وقع شديد وتأثير بالغ في النفوس ولذلك كانت الرياضات الروحية التي يلقي مواعظها محبوبة مشتهاة وتؤدي اطيب الجنى لانه على تراحم شواغله لا يفتر عن المطالعات الروحية والصلاة والتأملات العقلية فكانت تقواه تتكلم ولسانه يترجم عما في قلبه ونفسه فاذا انطلقت من فمه الشعلة المتأججة في صدره تنفذ الى اعق القلوب وتؤثر فيها ابلغ تأثير .

قلت ان الرهبانية كلها كانت تنظر بارتياح الى جهاد الاب شحادة ولذلك انتدبه مجمعها العام سنة ١٩٠٧ مديراً ثالثاً وتجدد ذلك الانتخاب له سنة ١٩١٠ وفي خلال مديريته لم ينقطع عن المدرسة والتعليم فيها وهو مع ذلك يدأب اشد الدأب في اشغال الرهبانية ودعاويها وأهم ما شغله منها ونهك صحته تلك المتاعب التي عاناها في سبيل دعوى الجليلية وخرجها ودعوى خربة بسري ومائها فكم من اسفار وكم من اسهار وكم اضطر احياناً ان ينام على الطرق الى جانب فرسه لا غطاء له ولا وطاء . انه كان يعتبر الرهبانية بيتة الخاص فلا يستكثر في الدفاع عن ممتلكاتها بذل صحته وهدر حياته . ومن جملة ذلك انه قصد الى دمشق عام ١٩١١ لاشغال تخصص الرهبانية برفقة المدير الاول وقتئذ المأسوف عليه كثيراً المرحوم الارشمندريت بطرس الحويطي فمرض هناك مرضة ثقلت وطأتها عليه واوشكت ان تهصر حياته لولا لطف الله بالرهبانية ولولا عناية المغفور لها جرجي البيطار وعقيلته السيدة مريم القاضي فانها حاطاه كما حاطه كل اهل بيتها بأجل العناية والرعاية حتى تماثل الى العافية ولذلك كان يحفظ لهذا البيت

الكريم وخاصة للرحومين جرجي البيطار وعقيلته اجمل الذكرى واحسن الشكر .

ولمّا توجّه المأسوف عليه كثيراً الارثمندرية جبرائيل نبعة الرئيس العام حينئذ الى رومة سنة ١٩٠٨ لتهنئة السعيد الذكر البابا بيوس العاشر بيوبيله الكهنوتي والاشترك بجفلات اليوبيل المثوي الخامس عشر للقديس يوحنا في الذهب عين الاب شحادة رئيساً للمدرسة مكان رئيسها الارثمندرية يوسف الصابونجي الذي رافق الرئيس العام الى عاصمة الكنيسة . وبقي المترجم في مقام المديرية ورئاسة المدرسة الى سنة ١٩١٣ وكلنا يذكر بالخير ذلك العهد الجميل الذي شهدنا فيه من نشاط الاب شحادة ما أكدنا معه تلك الحلال القادرة والعزائم الماضية والتجرد التزيه والتواضع العميق .

أذكر اني إذ كنت شماساً انجيلياً سنة ١٩٠٩ وكل إليّ تعليم التلاميذ كلهم تقويم الخط فكنت أنزل في الميعاد المعين الى هوو الدرس العمومي أصلح لهم خطوطهم جملة . فذات يوم نزلت على مألوفي وابتدأت أصلح للتلاميذ الذين هم الى الامام ولحت الرئيس يراقب التلاميذ الذين هم وراءه ولم يخطر لي في بال أنه يصلح لهم خطوطهم ولا سيما الحرف الثلث وبقيت حتى انتهيت الى حيث كان فوجدته قد مضى وإذ نظرت في دفتر احد الطلبة ورأيت ما في دفتره من بشاعة الخط أشرت الى سطر وقلت له من باب الممازحة : « يا حمار أهكذا تكتب ؟ » فضحك إليّ وقال : « يا معلمي هذه كتابة الاب الرئيس » . فضحكت وحمات النكتة الطريفة الى الاب الرئيس واخبرته بها على وجهها فأغرب في الضحك ووعدني انه لا يعود الى مثلها .

كلام اجمالي على مائه الروحية

كان فقيدنا الجليل آية في التقوى والتدقيق في حفظ رسومها فلا يترك حتى في اشد اوجاعه وآلامه وفي اخرج اوقات عمله فرضاً من صلواته ولا نفلاً

ولا يفرط في جليلة ولا دقيقة منها .

جئت في الثامن من شهر نيسان الماضي من القدس لزيارته في حيفا وقضاء العظة الفصحية فيها بقربه وكان متأماً جداً من مرضه الذي حيرَ بصائر الاطباء ولم يبتدوا الى علاجه سبيلاً لكنهم اجمعوا على التقريب ان علتة في المرارة واوجبوا عليه الراحة والسكون في سريره والانقطاع عن الطعام إلا ما خفف منه فرأيته يحافظ بشدة على الامتناع عن المأكل فلا يتناول الا قليلاً من اللبن الرائب يأخذ منه صباحاً وظهراً ومساءً مع كوساة صغيرة جداً تسلق له ثم يقطعها ويخلطها مع اللبن ويتناول ذلك بالملعقة لا يريد عليه شيئاً على الاطلاق . ويعقب ذلك على الاجمال آلام شديدة تتناوب فنعالجها له بالماء الحار نضعه في كيس من المطاط على موضع الألم ولكنه في الغالب لم يكن يستفيد شيئاً وفي هذه الاثناء لا يغفل عن صلاة الفرض والسبحة والمطالعات الروحية او قراءة الجرائد وما اشبه ذلك .

شهدته ينهض باكراً جداً نحو الساعة الثالثة فيتلو فرضه وفي نهاية ذلك يكون الحادام قد حضر فيها له في باحة الوكالة مائدة عليها كل لوازم التقديس فيلبس حلتة الكهنوتية ويقدم عملاً بالاذن الذي حوَّله اياه سيادة المطران غريغوريوس الحجار راعي الابرشية الموقر . وكان يجتهد وقت نهوضه ان لا يزعجني في رقادي فيبالغ في الحذر من وقع خطاه وعند التقديس يبالغ في خفض صوته لذلك وبعد القداس يستغرق في الشكر ثم في صلاة السبحة ثم يتناول كتاباً روحياً ويقبل على المطالعة حتى اذا عدت اتا من القداس في كنيسة البلدة اراه في انتظاري لتناول طعام الافطار ويكون قد هياً لي الواناً على حين انه لا يتناول هو الا كأساً من اللبن الرائب كما سبق القول .

وكان الاسبوع الذي زرتة فيه اسبوع الآلام وتقام لذلك حفلات دينية كبيرة في الكنيسة . فع اشدداد الاوجاع عليه لم استطع منعه عن حضورها ووجدت انه اذا لم يحضرها يكابد من شدة الاسف على فواتها اكثر مما

يكابدهُ من مسّ الالم فتركته يفعل وهكذا نزل مرة الى الكاتدرائية لحفلة
دورة الصليب وتلاوة الاناجيل وفيها وصية العهد فاستغرقت ساعتين ونصفاً
وكانت الكاتدرائية غاصّة بالمؤمنين لحد انه ضاقت الصدور بانفاسها فلما انتهت
صعد الى الوكالة وهو في اشد ما يكون من الكرب وانتابته آلام لا تطاق ومع
ذلك كان مسروراً لان الحفلة لم تقته .

وكان يكره اشد الكره الغيبة والنميمة والطعن في حق الناس اياً كانوا
ويسوّى هذا الخلق القبيح وينعاه على اهله ويقول : « قطع الله الالسنة اللضلاضة
التي لا تعرف الانفث السموم » ولكنه اذا ذكر امامه الشخص المتخلق بهذا
الخلق يقول : « رحم الله الضعف البشري وهدى هذا الانسان الى سبيل الحق »
وكان كثير الشفقة على من يعرف انه متورط في خطيئة سيئة او عادة قبيحة ،
وكانت عنده صلاة خصوصية لهداية الخطاة الى التوبة .

اما احترامه للسلطة ومقاماتها ورجالها فكان عظيماً جداً ولا يمنع ذلك انه
كثيراً ما كان ينبه بعضهم على خطأ يبدر منهم بتام الجراة والحرية ، اما متى فصل
عنهم وتحدث بحضرته عن بعض شذوذهم فيما بلغ في تأويل ذلك احسن تأويل
او يحيله على الضعف او الشقاء البشري او يجتهد في بيان حسنات الرئيس ووجوب
احترامه والمحافظة على كرامته واستطيع ان اقول اني لم اسمعه قط يتناول بالغبية
اشد خصومه واكثرهم تنديداً به واساءة اليه ولكنه لم يكن يتهيب ان يجابه
المسيح ولا سيما الى الرهبانية او الى الحق على الاطلاق بجرية تامة وصراحة كاملة ،
واخلق من لم يكن قط يجاني نفسه ان لا يجاني وجه المسيح الى الحق .

وكان يحافظ اشد المحافظة على عادة الرهبان في الاعتراف كل اسبوع فلا
يمكن ان ينجز ذلك الميعاد بل كثيراً ما كان يعترف مرتين في الاسبوع قصداً
الى تنقية ضميره واكتساب نعمة السر المقدس .

اما محبته للرهبانية وغيرته على مصالحها فاني لم اشهد له في ذلك ضرباً او
مشيلاً . يهجمه اشد الهمم كل ما يؤول الى خيبرها وتقدمها وازدهارها ويتألم اشد

الالم مما تُعنى به من نكبات ومصائب واذا لخصنا حياته فيها نقول انها كانت جهاداً مستمراً في اكتساب الخير لها ودفع الاذى عنها وطالما شهدناه يبكي اذا فُجعت باحد ابنائها البررة او ألم بها مكروه .

قلت انه كان في سره وعلايته يوقر السلطة جداً ويبالغ في اداء الكرامة لها واذا كان بين اصحابها خصم له او للرهبانية خاصمه مواجهة او كتابة بتلم الحرية والصراحة ولم يكن يطيق احداً يس كرامة صاحب السلطة بقول او بعمل . وحسبك من ذلك انه لما اصطدم اثناء رئاسته العامة بالمثلثي الرحمات البطريك ديتريوس قاضي المطران اثناسيوس خرياطي من اجل امور تخص الرهبانية ناوأهما بكل ما أوتيته من حماسة وعزم ولكن لم يقطعه ذلك عن اجلال الخبرين وذكرهما بكل محمدة وثناء وتوقير . ولما عين المجمع الشرقي المقدس الزيارة الرسولية للنظر في هذه الامور المختلف عليها بعث لغوره الى رئيس الزيارة سيادة المطران مكسيموس الصائغ الكلي الوقار برسالة ملؤها الترحيب والخضوع للكرسي الرسولي وللمعينين زواراً من قبله على الرهبانية .

واما تدقيقه في حفظ النذور المقدسة فهيات ان تتسع هذه العجالة للتبسط في تفصيله وبيانه ولكن حسبنا ان نلمع الى انه كان مثلاً حياً في الطاعة المقدسة كافرأ أشد الكفر بنفسه في سبيلها لا يأبه لغير العمل بها و لغير تأييدها والمضي على ما ترسمه له . ولا يهجم ان يتنزل عن منصب كبير الى مكان صغير واعظم ما شهدناه فيه من ذلك تنزله بكل رضى وقبول عن منصب الرئاسة العامة حين قضت الزيارة الرسولية باسناده الى الاب يوسف يواكيم الخالصي (سيادة المطران افثيميوس يواكيم مطران الفرزل وزحلة والبقاع اليوم) ولم يبتئس قط حين عينته الهيئة القانونية الجديدة رئيساً على دير القديسة تقلا المعروف بعين الجوزة بل ذهب اليه بارتياح وسرور واخذ يهتم في تحسينه كما سيأتي بيانه قريباً مما أدهش الرهبانية وعامة الناس من رحابة صدره وكرم اخلاقه وتواضعه وطاعته . وكذلك نقول في تشدده على نفسه في ما يس كرامة العفة الطاهرة فقد كان

الاب شحادة لا يكتفي بالاجتهاد في البعد عما يشين هذا النذر المقدس بل كان يبائع اشد المبالغة في نقاء سريرته من ادنى غبار يكدر تلك المرأة الصافية والجوهرة الكريمة فلا يسمح لنفسه ابداً بالتحدث الى النساء الا في المسائل الضرورية وامام الناس وهناك تنظر من ادبه ورضائته وغض بصره وكلامه الباني للقريب ما يروعك عجباً . ومن باب المحافظة على جوهر فضيلته كان لا يجب بل يكره كثيراً التأنق في غرفته وفي ثيابه وطعامه وشرابه وطالما سمعت منه هذه الكلمة التي قالها الروح القدس في سفر الامثال : « يجب ان نضع سكيناً لحنجرتنا » (ام ٢٣ : ٢) ولهذه الغاية نفسها كان يكثر جداً من الصلوات فاذا ينتهي من صلاة الفرض بكل اجزائه ودقائقه يعمد الى هذه النوافل كصلاة السبحة وغيرها ، وكثيراً ما يعمد الى مطالعة الكتب الروحية او الادبية او العلمية او الاشغال اليدوية الشاقة بحيث لا يمكن ان تراه فارغاً بطلاً ولو دقيقة واحدة . فكان لذلك بكل حق مثال العفاف الصحيح في نفسه وقلبه ويده ولسانه وكل حياته واعماله .

ومن يتأمل في دقة محافظته على نذري الطاعة والعفة لا يعجب من شدة محافظته على نذر الفقر المقدس حتى لقد كان فقيراً حقاً طول حياته . وقبل ان تأتي الفرائض الجديدة حين كان الرهبان بموجب العادة السارية يحملون دراهم ويتصرفون بها لم يكن يسمح لنفسه بهذا التصرف . وغالباً كانت نقوده في صندوق الدير لا يأخذ منها الا الزهيد الذي يحتاج اليه . وفي ابان الحرب الكونية حينما اشتدت الضائقة بالناس وهو رئيس على دير رثيميا لجأ اليه ابن اخيه فأبقاه عنده اسبوعاً او اكثر ريثما استراح ثم صرفه الى بلدته ولم يزوده الا بالتمر اليسير لنفقات الطريق ، ليقينه ان ما بيده من الدراهم هو ملك للرهبانية ولا يجمل له التصرف فيه .

ولما انتخب رئيساً عاماً كان يعالج مسألة الفقر في الرهبانية ويرى في العادة السارية مسألاً لكرامة النذر فكان يتامل كثيراً من جراء ذلك ويتحرق

ويفتش عن وجوه الاصلاح للخلل حتى كان مجعده الثاني سنة ١٩٢٢ فاقترح عليّ انشاء رسالة باسمه يبعث بها الى كل فرد من ابناء الرهبانية في وجوب المحافظة على نذر الفقر وفقاً للقانون الذي سنّه لرهبان دير المخلص الكردينال اسكندر فرنكي رئيس مجمع اقتشار الايمان المقدس في ٢٩ نيسان سنة ١٨٧٥ فتزولاً عند أمره كتبت تلك الرسالة وقد وجهها مطبوعة الى كل ابناء الرهبانية في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٢٢ .

وكان يجب المشورة في كل ما يعمل ولا سيما في ما يختص بالمشاريع الكبيرة من مشاريع الرهبانية وبسياسة الافراد ومعاملاتهم وكم سمعنا من فه هذه الكلمة : « المشورة هي من الروح القدس » . وقد يظن من يجادل في امر من الامور انه من الناس المستبدين بأرائهم المتشبهين بما يخطر لهم من الافكار والاعمال لكنه على الحقيقة لم يكن يريد الأتمحيص الآراء وأهون شيء عنده حينئذ ان يتنزل عن كلمته ورأيه للعمل بما اجمع عليه المشيرون ولا سيما من يعتقد فيهم الاخلاص والحسنة والحكمة .

وكان كما اسلفت مقترراً على نفسه لكنه مبذال جواد في سبيل اكرام الناس وكثير الشفقة على الفقراء يدهم على قدر وسعه عن قلب عطوف كريم ويقول : « يجب ان لا يُرد الفقير خائباً ولا يعذرنا في منعه قلة ما بيدينا فان نسفه بالقليل خير من الامساك عنه بالبتات » .

كانت الادارة الرهبانية العليا تقدم لكل من اساتذة مدرستها في ختام السنة المدرسية شيئاً من الدراهم ينفقها في عطلة السنوية . فلما كان فقيدنا رئيساً على المدرسة كان يوزع ما تخصصه به الادارة على الآباء المعلمين ولا يبقي لنفسه شيئاً .

وحينما كان رئيساً في دير النبي الياس في رشميا ودير القديسة تقلا المعروف بعين الجوزة كان يعيش تبليغاً بازهد القوت لحد التقدير الكلي . فكان يكفيه احياناً ان يتبلّغ بالخبز القّار او بقليل من اللبن او الحبن او الزيتون وهو مع ذلك

يذهب الى الحقول ويشغل كعامل نشيط في الارض او بالحصاد او يدرس على البيادر ويمتنع اشق الاعمال ولكنه لا يرضى ان يتناول الا اتفه المأكلا . اما اذا طرقة ضيف او اذا زاره احد الرهبان او آباء المدرسة وتلامذتها فحدث عن كرم الاب شحادة ولا حرج .

نيابته البطريكية على ابرشية صيدا

لما تزلت ابرشية صيدا بوفاة اسقفها المثلث الرحمت باسيلوس الحجار كتب قائم المقام البطريكي حينئذ السعيد المذكور ديمتريوس القاضي الذي صار فيما بعد بطريركا ، يطلب من الرئيس العام المرحوم الارشندريت جبرائيل نبعة ان يرشح له ثلاثة من آباء الرهبانية ينتخب واحدا منهم للنيابة البطريكية على الابريشية المترملة ، فعملأ بهذا المرسوم رشح الرئيس العام ثلاثة آباء فيهم فقيدنا الجليل الاب شحادة وكان وقتئذ رئيسا على دير النبي الياس في رشميا .

ومنذ استلم مهام النيابة البطريكية في ٨ تموز سنة ١٩١٦ اخذ يدأب ويسكد ويجتهد لا يدوق طعم الراحة في سبيل الرعية والكهنة ومصالح الاوقاف وكان للكروسي الاسقفي الصيداوي ارض واسعة في قرية برته تسمى بالحرف الدقيق ولكنها لم تكن تغل شيئاً لسبب اهمال المتولين عليها فوأمى ان يقوم على تعهدها بنفسه فاصطنع له خيمة فيها واقام ثلاثة اشهر فيها يعيش كأدنى الفلاحين فأغلّت في تلك السنة خمسمئة ليرة عثمانية ذهباً .

وكان شديد الاهتمام بالمسائل الروحية فلا يدع قرية بدون كاهن يتولى شؤون الرعية فيها وبما ان الازمة اشتدت على الجميع في ابان الحرب الكونية ونالت كهنة الرعايا على الاخص ، وجه عنايته اليهم فكان يوزع عليهم حسنات القدايس بقدر ما يستطيع ويرسل اليهم الاقوات الضرورية حتى انه لما ارسل اليه بشير بك السعداوي قائم جزين هدية خاصة كمية كبيرة من القمح لم يُبَحْ لنفسه ان يستأثر بها بل وزعها على كهنة الابريشية متوسلاً بذلك الى سد فاقتهم وبقائهم الى جنب رعاياهم ليقوموا بنجدتهم الروحية في تلك الايام العصيبة . وان عنايته

واجتهاده واقتصاده كل ذلك جعله يوفر للكرسي الاسقفي اثناء نيابته البطريكية مبلغاً كبيراً من المال اي الفأ ومثي ليرة عثمانية ذهباً سلمها خلفه على تلك النيابة المثلث الرحمات الحوري اثناسيوس الحرياطي حين انتخب هو رئيساً عاماً على الرهبانية في ٦ ايلول سنة ١٩١٩ .

رؤاسته العامه

انتخب اول مرة رئيساً عاماً في ٦ ايلول سنة ١٩١٩ كما تقدم القول وكانت الرهبانية خارجه من الحرب الكونية رازحة تحت اعباء ديون ثقيلة تقدر بعشرة آلاف ليرة ذهباً فمافوق وديرها الابتدائي كان قفراً يباباً ومدرستها في اقصى حاجة وفاقة وديرها الرئاسي لاشيء فيه من المال ولا الذخيرة فاهتم قبل كل شيء بتعمير الدير الرئاسي وكسوة تلامذة المدرسة وفرش وتعمير دير الابتداء حتى اضطر ان يشتري مقداراً كبيراً من الزيت على شهرة دير المخلص بكثرة الزيت فيه لان الرئيس العام السابق اضطر ان يبيعه كله بسبب الازمة المالية المستحكمة الحلقات .

اضطّر الرئيس العام الجديد ان يبيع مزرعة نخص الدير في جهات بسري تسمى مزرعة الحجاجية وكانت الرهبانية من عهد قديم تعرض هذه المزرعة للمبيع لانها بعيدة منفردة لا توثي الرهبانية اقل نفع فاهملت العناية بها حتى صارت العناية بها تقتضى مبالغ تفوق بكثير الربح الذي يؤمل منها ولكن الله الذي رأى خادمه الامين في تلك الضائقة الشديدة سهّل مشترى المزرعة المذكورة على رجل همام النفس والاخلاق عالي المهم هو الخوارج اسعد يوسف عيد من وجهاء قرية بيقون فبذل فيها ثمناً كبيراً لم يكن احد يؤمله . ولم يقف عون المخلص للرئيس العام الجديد عند هذا الحد بل اغزر عليه احسانه من كل جهة فبفضل الامداد الذي كان يتواتر عليه وبفضل العناية والاقتصاد لم تنته مدة جمعة الاول حتى وفي عن الرهبانية ديونها كلها وملاً الدير من المرافق الحيوية وبقي في صندوقه كمية من المبالغ اخذ ييندها في التحسين وفي مصالح الرهبانية وتعزيز

مكتبتها . ووطن نفسه على انشاء ميثم طائفي ومدرسة داخلية يديرهما رجال
الرهبانية .

وكنا نشهده وهو رئيس عام لا يميز نفسه باقل شيء عن اصغر الرهبان ،
ويعنى عناية خاصة بالقرآآت الروحية فبعد ان يتلو فصلاً صغيراً يفيض بارشادات
ملؤها روح التقوى والنصيحة والتنبية والتسديد . ثم يهتم باقامة الرياضات
الصغرى في كل شهر ما عدا رياضة الصوم الكبرى وبقية الرياضات الاستعدادية
لبعض الاعياد العظيمة . وكان ينتقى لهذه الرياضات اقدر العواظ من آباء الرهبانية
او من الآباء اليسوعيين . مريداً نحو الروح الرهباني في ابناؤه عاطفاً على الذين
منهم في خدمة الرسالة الانجيلية متفقداً ايامهم بشخصه او بكتاباته . وكان في
الدير مثلاً للقنوت واقامة الفروض والصلاوات وغوذجاً للتواضع فلا يستنكف
من الذهاب الى الحقول والشغل فيها ايام موسم الزيتون على الاخص واذ يرى
الرهبان منه هذا التواضع وتلك الهمم يلحقون به ويجدون كجده اقتداءً به .

وكان يقوم في الليالي ويتعهد مراحيض الدير بالغسل والتنظيف . اما شفقتة
على المرضى منهم فما يفوق الوصف . يعنى اولاً بتطبيهم حسب الاقتضاء حتى
اذا ما كان المرض عجز شيخوخة وصرح الاطباء بعدم فائدة العلاج جعل يخدمهم
بنفسه . واعرف انه كان الشيخ والكاهن الجليل داميانوس الصغبيني قد بلغ
به العجز والكلال مبلغاً وهو قد نيف على الخامسة والثمانين ومُني بالام تجعله لا
ينام فلم يذق الاب شحادة الرئيس العام طعم النوم لايلاً مدة نحو اربعة اشهر وهو
يتعهد الشيخ العاجز ويجدمه ويغسل له وينظفه وينظف سريره ويتولى بيده
احقر الخدم في سبيل راحته . وهكذا فعل في خدمة الاب نعمة الله برسا والاب
يوسف مغيزل والاخ زكا غنطوس بنوع خاص .

ومما نذكره انه في عهد رئاسته وصلت طريق العربات الى جون فدير
المخلص . والذي يعلم شدة الخلاف بين اهل جون على تضمين حرجهم المعروف
بحرج نقبة وانهم لم يكونوا ليتفقوا في ماضي الزمان على ذلك ولا بوجه من

الوجوه يعلم مقدار الجهد الذي بذله الاب العام شحادة للتوفيق بين الالهين على ذلك العمل الذي كان تنفيذه والاهتمام به عند وزارة الاشغال العامة مهمة وعناية الوكيل العام وقتئذ الاكسرخوس اكليمنضوس البردويل ب م ومساعدة مهندسنا الزراعي الارشمندرت استغانوس يواكيم ايضاً الذي كانت له اليد الطولى في تقدير حرج نقبه وفي تخطيط الطريق وهندستها .

ان ما ظهر من اعمال الاب شحادة في رئاسته العامة الاولى ومن مآثره الطيبة في الرهبانية وغيرته على مصالحها قد كان له احسن الاثر عند ابنائها فلما انعقد المجمع العام سنة ١٩٢٢ تجددت له الرئاسة العامة .

وفي اثناء رئاسته العامة الاولى حامت افكار ابناؤ البرشية الصيداوية حوله وحول الاب يوسف يواكيم ب م في شأن انتخاب احدهما خلفاً للمثلث الرحمات المطران باسيلوس الحجار وكانت الانظار موجهة اكثر الى الاب شحادة لما سبق له من الخدم الجليلة في البرشية وقد عرفه الجميع واختبروا فضائله وتقاه وهمته وامانته وغيرته على مصالح الرعية لكن البطريرك المثلث الرحمات ديمتريوس القاضي ارتأى ان يهمل كلا المرشحين لاسباب لا موضع لبيانها هنا فاستدعى اليه الاب اتناسيوس خرياطي الذي كان قد عينه نائباً بطريركياً بدل الاب شحادة المنتخب رئيساً عاماً ، وسامه في دمشق استقفاً على صيدا .

وكان الاب شحادة ازهد الكهنة في المراتب والمناصب ولا سيما المنصب الاسقفي ويعد نفسه عن يقين غير اهل له . فجع علمي ان اكثرية الطائفة كانت تطلبه ومع كثرة ادلاي عليه اذ هو استاذي وصاحب الفضل الادي الكبير علي لم تجرأ مرة على مفاتحته بمجديث الاسقفية وترشيحه لها ولكني كنت راجعاً معه مرة قبيل الغياب من التزهة المعتادة في دير الخالص فبينما وصلنا الى رأس الدرج قرب باب الكنيسة الجنوبي ، قلت له : « يظهر ان معركة الترشيح للاسقفية حامية الرطيس في هذه الايام » فاجابني : « ومن يكون المرشحون ؟ » قلت : « الابوان شحادة ويواكيم » وكنا قد بلغنا الى امام باب الكنيسة فرفع



الاب باسيلوس شحادة ب م
استاذ اللغة العربية ورئيس المدرسة الرهبانية

قلنسوته عن رأسه بيسراه ومدَّ يمينه الى جهة باب الكنيسة وقال : « لا سمح الله ان اصير اسقفًا ! » ثم اخذ يبين لي ضعفه وقصوره عن هذا المنصب السامي ويحدثني عن التبعات العظمى التي توضع في عنق المتقدم اليه . وبلغنا الى غربي بهو الدير المعروف فمدَّ يمينه الى جهة المدرسة الرهبانية وقال لي : « اذا كان غبطة البطريك والسادة الاساقفة يريدون مجد الله وخير الكنيسة والابرشية فليتنخبوا هذا الخوري » يريد رئيس المدرسة وقتئذ الاب اثناسيوس الخرياطي .

وكان الاب المذكور تلميذاً خاصاً للاب شحادة في درس اللغة العربية بعد استاذة الاول الاب جبرائيل الحجار (سيادة المطران غريغوريوس اليوم) وكان على جانب عظيم من الذكاء وقُدوة في التقوى والسلوك القويم . وكانت بينه وبين الاب شحادة صلوات مودة واحترام متينة جداً ولما ارسلته الرهبانية الى رومة ليتمكن من العلوم الكهنوتية العالية وينال لقب الملقنة ، كان الاب شحادة اول من سعى له في ذلك وكانت المراسلات بينهما متواترة تشف عن اصدق مودة واحسن ولاء . ولما عاد من المدينة الابدية اهتم الاب شحادة بتعيينه رئيساً مكانه على مدرسة الرهبانية لعلمه بنوعه وليقينه انه يستطيع النهوض بالمدرسة الى مستوى عالٍ من التهذيب والعلم والادب . فكلَّمته بحقه اذن وهي : « اذا كان غبطة البطريك والسادة الاساقفة الخ . . . » صادرة عن حب واعتقاد راهن ورغبة شديدة في ترشيحه لهذا المقام .

فلما طلبه البطريك ديتريوس القاضي على ما مر بك وسامه اسقفًا على صيدا دون اخبار الرئيس العام استاء الاب شحادة . وبما اوجب استيائه انه كان يود ان يجتني باسقفية تلميذه وصديقه الاب اثناسيوس وان يكون في طليعة المواكبين له من ابناؤه الرهبانية الى دمشق لحضور حفلة سيامته وان يواكبه من دمشق الى صيدا ويقدمه للطائفة باسم الرهبانية فلم تُتَّح له تلك الامنية فكظم على ذلك لشدة محبته للمطران الجديد ولانه يكره ان يقال انه قائم لعدم نيته ذلك المنصب .

ولهذا حين ارسل اليه المطران الجديد برقيته الاولى مبشرة بارتقائه الى ذلك المقام العالي ، اغتبط الاب شحادة اعظم اغتباط وأمر فقرعت اجراس كنيسة الدير وكان السرور يطفح على قَمَمَات وجهه وفي عينيه ومن لسانه كأنه نال اعظم الاماني وكان الرهبانية حصلت على اعظم مفخرة .

وفي الميعاد المعين لقدم المطران الجديد الى صيدا سبق الاب العام شحادة مع وفد يرافقه من الدير لاستقبال حبيبه وصديقه المطران اثناسيوس الحرياطي . وما أجلّ ذلك الخطاب الذي القاها في الكاتدرائية مهئناً الكنيسة والطائفة والابريشية بذلك الخبر العلامة الغيور ، اجل انه كان خطاباً مليئاً من العواطف الشريفة وصدق الالهجة والمحبة . واجمل منه الخطاب الذي ارتجله في النهار نفسه في باحة وكالتنا المخلصية حين زارها المطران الجديد يحف به كثير من اعيان صيدا ودير القمر وسائر جهات الابريشية . لقد خلنا وقتئذ ان اركان البناية تهتز لوقع ذلك الخطاب وكان الفاظه ومعانيه كانت شهباً من نار ونور تنفذ الى القلوب فتثير فيها عوامل الفرح والاعتباط فلم تبق عين الابكت سروراً ولم يكن أدلّ على صحة القول : « لسان المرء من تبع الفؤاد » من خطاب الاب شحادة في تهنئة الابريشية الصيداوية بمطرانها الجديد اثناسيوس الحرياطي . فقد انفجر قلبه بعواطف رائعة وكلام عالٍ وبلاغة متدفقة كالسيل وكان الكتاب المقدس بهديه يزين ذلك الخطاب بابدع التشابيه واحسن الامثال واخفم الصور والاستعارات . ولكن المطران اثناسيوس حُدد عن نفسه في صديقه واستاذه القديم فوقت بينه وبينه امور نظويها على غرّها في هذه العجالة وقد اخذت تلك الامور تتطور والمطران يرى ان حقوقه مهضومة والرئيس العام يرى تلك الحقوق للرهبانية حتى بلغ امرهما الى رومة فعينت زيارة رسولية كما ألمعنا الى ذلك من قبل .

وقضت الزيارة الرسولية ان تعين هيئة قانونية جديدة وذلك في نهاية المجمع فأُسندت الرئاسة العامة الى الاب يوسف يواكيم (سيادة مطران زحلة اليوم)

والهيئة القانونية الجديدة عيّنت الاب شحادة رئيساً على دير القديسة تقلا في عين الجوزة . على ان هذه المعاملة لم تغير شيئاً قلب الفقيه الجليل عن حبه للمطران اثناسيوس فلم يكن يأتي على ذكره الا باجمل كلام الحب والتكريم والتوقير . وكذلك المطران اثناسيوس كان يجلب فضائل الاب شحادة وتقاه وكل منهما يقتصر على تغليب الآخر في المسائل التي اختلفا عليها .

رأسه على دير القديسة تقلا المعروف بعين الجوزة

تقبل الاب شحادة تزييله عن منصب الرئاسة العامة بنفس طيبة وصدرت حبه وطاعة تامة دون ان يُبدى او يُعيد . وعيّنته الهيئة القانونية الجديدة او الزيارة الرسولية رئيساً على دير القديسة تقلا في الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ فقبل ذلك التعيين بتمام الخضوع لانه لم يكن يهتم برفعة المقام بل بخدمة الرهبانية او عمل الواجب ايان كان وكيفما كان .

وقبل ان يتسلم مهام الادارة الجديدة دعاه الرئيس العام الارثمندريت يوسف يواكيم لمرافقته الى عاصمة الكشلكة لزيارة مقام الخلافة البطرسيية في ختام السنة المقدسة وقد عاد من هذه الزيارة في العشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٥ . ومضى الى عين الجوزة وانشأ يكبد ويعمل كعادته لا يستريح ولا يسكن من المشاركة على الاشغال الا ليشغل بيده او لعمل واجب روحي او للطلعة . وكان طول مدة رئاسته في ذلك الدير يرافقه الخدام والفقلة كواحد منهم فيحصد في الشمس طول النهار او يدرس او يعزق فلا يكثر للراحة ولا للتأنق في ملابس ومطعم ومشرب حتى تعجب منه خدام الدير وشركاؤه وسائر الناس الذين يرونه وبما انهم اختبروه وعرفوا فيه قداسة الحياة والتزاهة والنشاط والوجود على الاضياف وقصاد الدير احوالوا انها كما في تلك الاعمال الى ولوعه بالاشغال اليدوية

والزراعية والى فضيلته وتقواه وجهه لشظف المعيشة وامساكه عن ملاذ الحواس وقتل ما يسمونه روح الكبرياء والنطرسه . وكان سيادة مطران زحلة قد ولّاه السلطان الروحي على القرى المجاورة التي لا كاهن فيها فكان يرسل اليها كهنة اذا وجد عنده بعض الآباء المصطافين او المقيمين او يتفقدوها بنفسه اذا لم يكن عنده كهنة وذلك يكثر في فصل الشتاء والربيع . واذا سمع بمريض فكان يذهب اليه مشياً على قدميه او راكباً على حمار ، واحياناً يطرقه طارق لمثل ذلك في نصف الليل فيهب بمجّمة ويمضي الى حيث المريض . وقد اتفق مرة انه قضى يوماً في عمل شاق تحت اشعة الشمس المتحمدة فاصابته لذلك حمى شديدة وبينما كان ينتفض تحت تأثيرها طرقه يسعى من بلدة القرعون يدعوه لعيادة مريض فيها ، والقرعون على مسافة ستة كيلومترات او سبعة من عين الجوزة فلم يتمالك نفسه الا ان هب وهو محموم وذهب نصف الليل الى القرعون وأدى الواجبات الروحية كاملة للمريض ونام عنده وكان يسليه ويعزبه بالطف كلام الخلاص . ومن هذا القبيل كثير يرويه عنه خدام الدير واهل الجوار لو اردنا استقصاءه لكتبنا فيه مجلداً .

ذلك الجهد الذي تمرّس به القاه مريضاً سنة ١٩٢٦ ثم تعافى منه ولكنه كان يشعر كثيراً بتأكل في جسمه ولا سيما صدره ويديه وكان يستشير في ذلك بعض اطباء فيصّفون له بعض الادوية ولكنها لم تفده شيئاً وانما هي لم تقعد به عن الكد ومزاولة الاعمال الشاقة والاهتمام بالدير وكل شؤونه فأتى بناء كنيسة الجميلة وطلب مساعدة بعض اخوانه الرهبان فتبرّع بعضهم بتقدمة الصور الزيتية الجميلة من عمل المصور الشهير سبيريدون احد رهبان القبر المقدس في اورشليم وتبرّع هو ببعض منها ايضاً .

وفي سنة ١٩٢٨ مرض مرضاً عضالاً قصد بعد ابالاه منه الى مصر انتجاعاً للصحة ثم مرّ بفلسطين واقام فيها مدة وعرج على طبرية للاستشفاء بمجتمعاتها

فاستفاد من هذه الرحلة القصيرة المدى لكنه لم يكد يصل الى الدير ويعود الى مزاوله العمل فيه حتى عاوده الأكلان في جسمه ولا سيما صدره ويديه حتى لم يكن يُعَمَّض له جفن في ليل ولا في نهار. فنزل الى بيروت في سنة ١٩٢٩ وخص جسمه عند أهر الاطباء فلم يهتدوا الى معرفة دائه لكن طبيباً في الجامعة الاميركانية تولى فحصه بتدقيق ثم وصف له دواء يعطى حقناً تحت الجلد وقال له ان هذا الدواء لا تجده في بيروت فلا بد من جلبه من اوربّة . غير ان صديقه الدكتور توفيق ابراهيم رزق الجراح الشهير اخذ صفة الدواء (الروشّة) وقصد بها استاذ الكيمياء في مكتب الطب الفرنسي فتعهد بتركيبه وصنع انابيمه وهكذا شرع الدكتور رزق يحقنه تحت الجلد يوماً بعد يوم وفي كل مرة يشتد تلهّب جسمه بسبب قوة الدواء حتى كانت آخر مرة فاستلقى عيآء ولم يستطع العودة من المستشفى الى الوكالة الا في سيارة وكان في منتهى الاعياء ولكنه عقيب ذلك احس براحة وسكن الأكلان في جسمه فعاد بمشورة الطبيب الى عين الجوزة وانما لم يمرض على اقامته هناك مدة شهرين حتى انتابته حمى نافض اضطرته الى قصد بيروت استشفآء فاقام مدة في المستشفى المدعو « اوتيل ديو » حتى برى . مما به ولكن الأكلان عاوده قليلاً فصر على مضضه ورجع الى مزاوله اشغاله وهو مسرور معتبط لا يهجمه الا الكد والعمل لحير الرهبانية وخير اهل الجوار في خدمهم الروحية حتى كانت سنة ١٩٣٢ في عهد الارشمندريت اغايوس نعموم (سيادة متروبوليت صور اليوم) بالرئاسة على الرهبانية . فرأى الرئيس العام بالاتفاق مع الزائر الرسولي حينئذ الاب دي لا جيدي ومؤازرة الزائرين السابقين الاباتي غريادور والاب منس فاتفقوا مع المهندس الزراعي رزق الله نور من سكان مدينة صور في ان يتولى المهندس المذكور عمل مبقرة في دير عين الجوزة لاجل صنع اللبن والجبن واستخراج الزبد والسمن على طرق فنية . ولا نطيل الكلام في هذا المشروع الذي كابدت

الرهبانية منه اعظم الحسائر وانما نقول ان الشروط كانت باهظة جداً على الرهبانية والآمال بالارباح اقل من ضئيلة بل هي معدومة بالمرّة . فهبّ لمصادمة المشروع مهندسنا الزراعي الاب استفانوس يواكيم وعقد في ذلك بيانات كلها علم وحكمة وتزاهة وصف فيها استحالة نجاح المشروع وان الرهبانية ستزح منه تحت خسائر لا تطاق فلم يسمع احد من ذوي السلطة كلامه وهبّ الاب شحادة وطالت مناقشته للرئيس العام في ذلك فظاهر انه لا يدلّه في الأمر بل هو منوط بالزوار فناقش الزوار فلم يسمع له منهم احد وعلى اثر ذلك قدّم استقالته من رئاسة الدير فقُبلت .

تعيينه وكبلا على املاك الرهبانية في حيفا

أتى فقيدنا الى دير المخلص واقام فيه مدة قليلة فطلبه سيادة متروبوليت عكا فلبى طلبه باذن الرئيس العام وقبل سفره الى حيفا دفع لصندوق الدير كل ما لديه من المال ولم يبق معه الا المقدار اللازم للسفر .
ثم تعين وكيلاً على املاك الرهبانية في حيفا وجوارها في عهد الرئيس العام سيادة الارشمندريت نقولا برخش وكان هو لا يشكو مرضاً وانما يشعر بشيء زهيد من سابق ما اصابه من الأكلان .

اقام في حيفا يخدم الرهبانية والطائفة اجلّ الخدم وأزكها وقد أعجب كل من عرفه بمحسنته وورصاته وتقاه وعلمه وادبه . واحس ذات يوم بدوار وارتحاء في اعضائه بينما كان يمشي سيادة المطران غريغوريوس الحجار في بعض زيارته لاحد الوجهاء في حيفا ثم اخذ يتواتر عليه ضيق النفس والدوار فتكّ حيفا الى دير المخلص وهو في اشد ما يكون من الكرب والهزال . فتحصنت صحته في الدير ثم قصد المزرعة فاقام في ديرها مدة قصيرة عادته فيها العافية ثم زار مسقط رأسه الفرزل وغب ان امتلاً صحة عاد الى مركزه في حيفا مستأنفاً فيها أعماله الرسولية في خدمة الرهبانية والطائفة بتمهي الغيرة والحمية والنشاط .

مرضه الافرير ووفاته

لم يطل به العهد حتى اخذ يشعر بما كان يشعر به اولاً وقد نزل به من المصائب ما كان معواناً للمرض عليه . ذلك انه مُني بوفاة صديقه وزميله المأسوف عليه كثيراً الارثمندريت بطرس خرياطي فبكاه جداً وتحسر عليه اشد الحسرات . ولا بدع ان تكون هذه الصدمة اثرت في صحته مهما اخذ نفسه بوسائل التغذية الروحية .

زرته في حيفا في اسبوع المرافع فوجدته في حالة لا بأس بها ولكنه من حين الى آخر يشعر بدوارٍ والمِ والاسيا اذا مشى ولو مدة خمس دقائق وكان يستعد في تلك الاثناء للتجول في بعض قرى الابرشية لالتقاء مواعظ الرياضات الروحية فيها وكان سيادة المطران كلفه ذلك فلم تسمح له غيرته بالاستعفاء من تلك المهمة الشاقة .

عدت الى مركزي في القدس وقد ودعني وودعته وداع الوامق الكيمد ثم عرفت مجولاته في قرى الابرشية ثم بعودته مريضاً من معليا فزرتة في الثامن من نيسان لاقضي بقربه العطلة الفصحية فعرفت انه اصيب في معليا بشدة الدوار والام واليرقان حتى خيف على حياته ثم سكن بعض تلك الآلام بالعلاجات التي بُذلت ولكني وجدته ملازماً لسريده باشارة الاطباء . وقد المعت الى ذلك في اول كلامي على حالته الروحية في هذه العجالة . ومما زاد في مرضه منعي ابن عمه من الفرزل وقد كان كهلاً لا يتجاوز الثالثة والاربعين فخرن عليه حزناً شديداً وبكاه كثيراً .

أخذته يوماً وقد انتابه الام الشديد الى الطبيب الطلياني في حيفا فما انتظرناه هنية في عيادة المستشفى حتى هدا الام واستراح المريض ولكن الطبيب خصه خصاً مدققاً وحكم ان الداء في المرارة ولا بد من اجراء عملية جراحية لكنه

لا يجزم بشي . قبل ان يرى صورة الاشعة المجهولة لذلك . وبعد مشاورة الطبيب اليهودي في بناية وكالتنا بجيفا والعمل باشارته في ما يلزم من سوابق التصوير ذهبت معه اليه وقد اخذ له صورته مرتين ولكن لم يظهر شي . في المرارة ولا في غيرها . فبقي يتلوى كل يوم وكل ليلة تحت تأثير الالم وكانت مدة رخصتي قد انقضت فودعته بعد ان حرصته كثيراً على ان يترك حيفا لبيروت ويسلم نفسه لعناية صديقه الدكتور توفيق ابراهيم رزق .

عدت الى القدس وانا متلوع لآلام سيدي وابي واستاذي الجليل الذي مضت لي في صحبته ثلاث وثلاثون سنة لم اشهد فيه خلالها الا التقى والفضل والزهد والقناعة والغيرة والكفر بالنفس والفقر والعفاف والطاعة باكل وجوهها . واكفي كنت مطمئناً ان حالته لا تدعو الى القلق ولا سيما وقد فحص الاطباء قلبه فاذا هو مليء بصحة كانه قلب ابن عشرين سنة في تمام عافيته . وزاد في طمأنينتي ان هذه الآلام التي يعانيتها ذقت مثلها وربما اشد منها بكثير مدة لا تقل عن خمس عشرة سنة ثم زابلتني والحمد لله .

وعلمت على اثر ذلك ان الاب شحادة ترك حيفا الى بيروت ولزم مستشفى القديس شارل فلقي فيه روحاً واطمأن الى الشفاء فغادر المستشفى الى الوكالة المحلصية هناك .

ومساء السبت في ٢٠ حزيران الماضي تلقيت رسالة من الاب الارشمندريت يوسف سابا يئبني بها ان الاب الحبيب شحادة في حالة خطيرة والاطباء قرروا اجراء عملية معجلة على اشتعال جسمه بجمي لم تفارقه ولم تنجع وسيلة في احمادها فابرت اليه اطلب الطمأنينة السريعة عن مريضنا الجليل . وعرف رئيس الكليريكية القديسة حنة الاب پورتيه (Portier) بالحالة فأمر باقامة الصلوات في المدرسة الكبرى والصغرى لنجاح العملية وشفاء الاب شحادة وجاءت البشائر بنجاح العملية وراحة المريض بعد ان دامت ساعتين وبلغني ان الاخوان ابناء الرهبانية وفي طليعتهم سيادة رئيسنا العام كانوا قد اخذهم الملح

على حياة المريض خفَّ الكثيرون منهم الى بيروت وشهد رئيسنا العام الكلي الاحترام اجراء العملية التي لم يرد المريض اجراءها الا باذن رئيسه العام . وكذلك خفَّ من حيفا سيادة المطران غريغوريوس الحجار الذي كان يجلب المريض جداً ويجترمه ويحبّه وكانت بينهما اوثق صلات المودة اذ الاب شحادة خريج سيادته وله تلقاه احسن الخدم واجمل الذكريات .

لم يستطع الاطباء ان يبلغوا الى معرفة الداء وموضعه ولا استطاعوا الكشف عن المرارة تماماً ولكنهم وجدوا فيها مادة صفراء فبزلوها واخرجوا نحو لتراتين من هذه المادة وقضوا بابقاء انبوبة من المطاط تستدر هذه المادة ريثما يستعيد المريض العافية فيتمون العملية بعد ثلاثة اشهر .

خدمت الحمى واستراح المريض وجاءتني الاخبار الى القدس عن بيروت ودير المخلص فيها طيبات البشائر عن صحة الاب الجليل المحبوب فيمينا انتهت السنة المدرسية في الكليزيكية القديسة حنة اسرعت في المجيء من فلسطين وقد ازمعت التوجه الى بيروت رأساً لزيارة سيدي وايي المحبوب وانا معتقد كل الاعتقاد اني اشاهده معافى سليماً .

وصلت بمعية سيادة المطران غريغوريوس الحجار الى حيفا من القدس الساعة الثالثة بعد الظهر نهار الاحد في السادس والعشرين من تموز .

فيمينا استرحنا قليلاً في دار سيادته اخبرنا حضرة اخينا الاب الفاضل يواكيم القرداحي ان الاب شحادة في خطر الموت وقد يئس الاطباء منه وتُقل الى دير المخلص .

اسود النهار في عيني ولم يكن ممكناً السفر في تلك الساعة بسبب الاضراب في فلسطين فأرجأته الى صباح الاثنين في ٢٧ تموز وما تمكنت من ترك حيفا الا ظهر ذلك النهار .

وصلت الى الدير وانا واجم واجف القلب كمداً فدخلت الكنيسة وصليت قليلاً لاجل مريضنا الجليل ثم زرت ابانا العام الكلي الاحترام ثم عدت المريض

ويا له من تبادل نظرتين بيني وبين ذلك الشيخ الضئيل وقد امتد فوق حياها الشاحب ظل المنية نظرت اليه فاذا بغصّة تمنعني ان اقول له كلمة فاكتفيت بلثم يده ووقفت الى جانب السرير الذي تغشيه المهابة وترفرف حواليه ملائكة السماء ونظر اليّ واطال النظر ولم يستطع ان يتفوه بكلمة .

وزرته مرة ثانية ووقفت امامه واطال النظر احدنا الى الآخر ثم قبلت يده وضغطت عليها قليلاً فقال لي بصوت خافت ولكنه واضح مفهوم : « ما عادت طويلة » .

جاشت في نفسي شواعر الاسبى الاليم فاذا بالدموع تطفرف من عيني واذا صدري كأن انفاسه حرّ النار فأشحت عن المريض ولم استطع ان اقول له كلمة . كان مريضنا في الدير موضع عناية الجميع والكل يتوجعون مما يتوقعون من الحسارة الفادحة التي ستلم بالرهبانية من فقد هذا الاب الابر بها . واطص بالذكر به سيادة ايّنا العام الذي كان يقضي الليالي بجانبه . وقد اخبرنا حضرة الاب انطون كيورك ان فقيدنا الجليل لم يزل في تمام الوعي يعرف كل من يزوره وان لم يستطع الكلام الا بصعوبة . ولما سألّه الاب المذكور في ابان شدته هل يريد ان يعترف اجاب بالايجاب واعترف بتمام الوعي وكان كلامه على خفوته واضحاً جلياً .

وهكذا حمل باسيلوس شجادة صليب النادي الحبيب طول حياته وجعل تلك الحياة الطيبة حافلة بالآلام والواجاع والتقوى والقداسة والصبر واستعد احسن الاستعداد لملاقاته ربه متزوداً اخيراً زاد الاسرار معتدياً بقوت الابرار وخمرة الحب الالهي حتى لفظ انفاسه الاخيرة كعرف ذكي الساعة ١٢ < بعد ظهر الاربعاء في التاسع والعشرين من تموز سنة ١٩٣٦ .

طّير منعه الى غبطة السيد البطريرك والى السادة الاساقفة ابناء الرهبانية والى كل مقاماتها ومراكزها فاوفا غبطته من عين تراز سيادة المطران نقولاوس قاضي رئيس اساقفة بصرى وهوران مع حضرة الارشمندريت باسيلوس النجار

الوكيل البطريركي في مصر وكاتبي سره حضرة اخوينا الفاضلين الابوين افثيميوس سابا ومكسيموس الشتوي ب م ووافي مع وفد غبطته حضرة الاب نقولا دهب مدير المدرسة البطريركية في دمشق .

ووافي من حيفا سيادة المطران غريغوريوس الحجار يصحبه حضرات الآباء الارشتمندريت باسيلوس القسيس والاب اغايوس عطايا والاب جبرائيل مصوبع ب م ، وكان سيادته قد زاره وهو مريض يصحبه الدكتور جبرائيل الابيض نهار الثلاثاء في ٢٨ تموز وعاد في نفس النهار الى مركزه .

ووافي من دير القمر سيادة راعي الابرشية المطران نقولاوس نبعة يصحبه حضرات الآباء الارشتمندريت بطرس صوفيا رئيس دير الملاك مخائيل في عميق المناصف والاب باسيلوس الخرياطي وكيله الاسقفي في دير القمر ونواحيها والاب يوحنا داغر ب م .

واقبل من جديدة مرجعيون سيادة المطران اكلمنضوس المعاوف يصحبه حضرات الآباء الاكسرخوس اكلمنضوس البردويل والارشتمندريت يوسف الشماس والخوري ابراهيم الحداد ب م .

واوفد سيادة المطران اغوسطين البستاني حضرة نائبة الجليل الخوراسقف الياس زيناتي وكاتم سره الخاص .

ومن اخوتنا الموارنة جاء ايضاً من مزرعة الظهر وبكيفا حضرة الابوين الفاضلين بولس عيد النائب البطريركي في القدس ويوسف مراد .

وجاء من رشميا حضرة الاب بولس الخوري ب م رئيس دير النبي الياس ومن المزرعة حضرة الاب غريغوريوس الخوراني رئيس دير القديس جاورجيوس والابوين يوسف بهيت وغريغوريوس فرحات ب م ومن صيدا كهنتها كلهم حضرة الارشتمندريت اندراوس الخرياطي المدير الثاني والارشتمندريت يوسف الصابونجي النائب الاسقفي العام والابوين اندراوس عيسى ب م واغناطيوس حداد .

ومن بيروت حضرة المدير الاول الاب الجليل بطرس فاخوري ب م والاب
 اوغسطين سردي نائباً عن سيادة المطران الصائغ الكلي الوقار .
 ومن صور حضرة الابوين افثيموس فرنسيس ب م وبطرس نعوم نائبين عن
 سيادة المطران اغايوس نعوم الكلي الوقار .
 وقدم من المختارة حضرة الاب جبرائيل نصر ب م وكذلك جاء حضرة
 الاب خليل الحايك ب م على رأس وفد من غريفة .
 وجاء من صيدا ومن الجوار كهنة وعلمايون كثيرون من اصدقاء وعارفي
 فضل الفقيد الجليل .

ومما يدمي القلب شفقة واسفاً وجود ابن اخي الفقيد بين هذا الجمع الحافل
 وقد كان حضر منذ اشتدت ازمة المرض على عمه فكان منظره مما يشير الالوعة
 ويفيض احردموع الاسى .

حانت الساعة الرهيبية وبُدئ بصلاة الجنائز باحتفال مهيب على الحان الموسيقى
 البيزنطية . قام بتلك الخدمة على اكمل جلالها جوق مدرستنا الرهبانية يديره
 حضرة اخينا الاب كيرلس الحداد ب م

وغبَّ تلاوة الانجيل ارتقى منبر الكنيسة حضرة الفاضل اخينا الاب
 مكسيموس الشتوي فتلا رسالة تعزية من غبطة ملاذ الطائفة البطريرك كيرلس
 التاسع المتغيب وجهها الى سيادة ابينا العام والى جميع ابناؤ الرهبانية . وعقبه
 كاتم سر المطران اغوسطين البستاني الكلي الوقار فقرأ رسالة بالمعنى نفسه وجهها
 ايضاً الى سيادة ابينا العام وجميع ابناؤ الرهبانية الشاكلة وكتلتا الرسالتين آية من
 آيات البيان ودليل سام على مكانة الفقيد الجليل .

وانبرى بعد ذلك ابو الفصاحة والبلاغة واميرهما سيادة المطران غريغوريوس
 الحجار فأبن الراحل الكريم بخطاب كل آية منه تُعدُّ بمثابة خطاب فقد فاض
 شعوراً والمأ ووجداً وعزاً ومهما قلنا في صفة هذا التأبين فلا نوفيه حقه من
 الاطراء فحسه انه من بلاغات امير البلاغة المذكور وسيد الخطباء الشهير وهو في

احب الناس اليه واعلقتهم به واكثرهم خدماً له .
 وعقب سيادته في التأبين تلميذ الفقيد الحاخ ورضيع وده وناشئة فضله
 كاتب هذه السطور ، بحطاب لم يستطع ان يتوجه فيه بكلمة جهة العاطفة خشية
 من ان يغضب بدمعه فلايتاح له ان يقول من بعد كلمة . ولكنه عمد الى الكلام
 على مواقف الفقيد الجليل في حياته وبيّن جهاده في جميعها كجندي باسل ثم
 شكر باسم سيادة الرئيس العام كل الوفود الكرام الذين شاطروا الرهبانية
 اساهها في هذه الكارثة الفادحة .

ثم اعتلى المنبر الخطيب المفوه الحزين اخونا العلامة الاكسرخوس اكلمنضوس
 البردويل فثار الشجون بأيات خطاب جمع فأوعى من صفات الفقيد وبيان مزياه
 وكل ذلك باسلوب انيق وجّه به الكلام عتاباً الى اييه المسجّي على سرير المنية .
 وسنشر ان شاء الله في العدد المقبل خيرة التأبين التي كتبت او قيلت في هذا
 المصاب الجلل .

وختمت الحفلة بصلاة الوداع وحمل التعش على مناكب الرهبان ابناء الفقيد
 الى حيث اودعت تلك الجوهرة الكريمة صدّف ضريحها على رجاء القيامة للحياة
 الابدية وكانت الدموع تترجم عن عواطف الحزن العميق والنفوس على رجاء
 مكين من ان تلك الحياة الحافلة بالمبار والاعمال الصالحة والآلام الشديدة
 والايان الثابت والرجاء المحض والمحبة الكاملة لله قد فازت بغايتها العليا وصارت
 الى حيث لا حزن ولا بكاء ولا تنهد بل حياة لا تفتى في نعم الملكوت .
 اللهم آمين .

تلميذ الفقيد وابنه

الاب

دير المخلص اول آب سنة ١٩٣٦

تقولوا ابو هنا

ب م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انطارت والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق
ماروم الكاتوليك
عين تراز في ٣٠ تموز سنة ١٩٣٦

سجل عدد

٥٤٥ ٩

حضرة الابن العزيز الارثمنديت نقولا برخش الرئيس العام للرهبانية
المخلصية الجليل الاحترام تحية بالرب ودعاء وبركة رسولية

شدّ ما كان تأثرنا عندما انتهى الينا ذلك النبا الاليم الناعي رجل الكمال
الكهنوتي ومثال الفضيلة وخطيبها المفوه المرحوم الارثمنديت باسيلوس شحادة .
فلقد منيت بفقده رهبانيتكم الجليلة وطائفتنا جمعا . ولذلك نتالم معكم شاعرين
بثقل الحسارة والاسف . على ان أحداث الموت كثيرة وكل يوم لنا منه صدمة
عنيفة . تعقبها الحسرة واللوعة . اما الحزن العميق الشامل الذي ألم اليوم بنا
ويرهبانيتكم الجليلة فله وطأته الثقيلة من حيث اننا فقدنا رجلا عرف كيف
يحفظ وسم الكهنوت لامعا وبرهن بمثله الحي على ما للفضيلة الراهنة من هيبة
ونفوذ . وما جلال هذا الجمع الحافل حول جثمان فقيدنا العزيز الا اقرار ناطق
بكأنته الادبية العالية . وما السكوت الخاشع الذي تحييه انعام التشييع المحزنة
واصوات صلوات الرحمة الاتعظيم واحترام لهذا الراحل الكريم . وان كان
الموت غالبه في سنيه وايامه الاخيرة وهو منقلب على سريره اوجاعه وبلاياه حتى
تغلب على جسمه فذكر فضيلته وتواضعه وتجرده وغيرته وتضحياته وصبره
العجيب لقاء عواصف المحن ، اذ كان يتالم في نفسه صامتا أكثر مما تالم في جسده ،
قد برز حيا ظافرا وسيبقى خالدا ما ذكرت الفضيلة . وقد تعزى رحمه الله بان

لفظ انفاسه بين يدي امه الرهبانية وعطف اخوته الرهبان الذين خدمهم رئيساً وحفظوا هم له عهد المحبة والاجلال والوفاء . فاليوم تودّع الرهبانية ابنها البار وتشترك الطائفة معها في هذا الوداع . وقد اوفدنا للقيام بهذا الواجب سيادة اخينا الجليل المطران نقولاوس قاضي الكلي الوقار يرافقه حضرة وكيلنا البطريركي الارثمندريت باسيلوس نجار وكلقا اسرارنا . ونحن من صميم الفؤاد نعزي تلك الرهبانية الجليلة ، رئيسها العام الجزيل الاحترام ولقيف افرادها الافاضل ، سائلين المخلص ان يحفظها وينميها ويسكن نفس فقيدها في دار السعادة الخالدة مكررين للجميع مع تعازينا الابوية البركة الرسولية .

كيرلس التاسع

بطريرك انطاكية والاسكندرية

واورشليم وسائر المشرق

مطران صيدا المارونية

بيت الدين : لبنان

قدس الاب الحبيب المفضال الارثمندريت نقولا برخش رئيس الرهبانية

الباسيلية المخلصية الكلي الاحترام

بعد اهداء الواجب بخالص الحب والاعتبار . تلقينا بمعظم الحزن والاسف نعي الكثير المبرات الحميد المآثر والصفات المرحوم الارثمندريت باسيلوس شحادة وبكيننا مع قدسكم والرهبانية الباسيلية المخلصية الكريمة هذا الفقيد الغالي الذي لمع في سماء الفضل والفضيلة كالكوكب المنير . اجل اننا نشعر كما نشعرون ونقدر كما تقدرنون الحسارة الكبيرة التي نزلت بالرهبانية العزيزة والفراغ

الواسع الذي تركه اليوم الارشمندريت باسيلوس شحادة في صف ابناها العاملين لكوننا عرفنا معرفة اختبار طويل مزايا الفقيه النادرة ومواهبه الفائقة التي استخدمها باخلاص وتجرد وامانة في سبيل امه الرهبانية المحبوبة شأن الابن الوفي والراهب الحقيقي المجاهد تحت راية القديس باسيلوس الكبير معلم الكمال الانجيلي . عرفناه رئيساً مملوءاً من الحكمة والشجاعة والعدل والنزاهة ومرؤوساً قدوة في الطاعة والوداعة والنشاط مما اكسبه في الحالتين حب الجميع ، ثقة الجميع واحترام الجميع ولا ريب في ان الجميع هم الآن في الحزن عليه سواء . فلننحني ايها الاب العام الجليل امام حكم الله العادل ببلء الخضوع والتسليم متعززين بالرب وبالحياة النقية التي قضاها فقيداً في الرهبانية مجاهداً جهاد الرهبان الاقوياء الباسلين ولنستمطر على قبره شآبيب الرحمة طالبين من سيدنا يسوع المسيح ان يحصيه في ملكوته بين الرهبان القديسين ويضفر على رأسه اكليل المجد الاسنى جزاء ايمانه المحفوظ وسعيه الكامل .

والآن فاننا نقدم لقدسكم وبشخصكم الجليل للرهبانية المخلصية الكريمة جمعاً اصدق تعازينا القلبية سائلينه تعالى ان يعوض علينا بسلامتكم الثمينة ويكثر في الرهبانية من امثال فقيدها وفقيدنا العالي ولا يريكم من بعده مكروهاً . ولقد كان من اكبر واجباتنا ان نحضر اليوم بنفسنا لتقديم هذا الواجب وتوديع الفقيه العزيز الذي كانت تربطنا به اصفي عواطف الصداقة والولاء . ولكن صحتنا الضعيفة لا تزال تمنعنا عن تحمل مشقة السفر . لذلك فاننا موفدون من قبلنا حضرة ولدنا الحور اسقف اليباس الزيناتي نائبنا العام الجليل الاحترام لينوب عنا مؤقتاً بتقديم التعزية راجين قبول عذرنا ومكررين اهداء واجب

الداعي لقدسكم

الاعتبار لقدسكم اطال الله كريم بقام .

اوغسطين البستاني

مطران صيدا

بيت الدين في ٣٠ تموز سنة ١٩٣٦

مطبوعاتنا

تطلب رأساً من دير المخلص - صيدا (لبنان) او من وكالاته في كل
الجهات وهذه اثمانها ما عدا اجرة البريد

ثمن النسخة بالعرش السوري

- ١ سيرة الاب البار بشاره ابي مراد المخلصي
بقلم الاب قسطنطين الباشا ب م المطولة ٦٠
الصغيرة ٢٥
- ٢ امثال لافونتين : تعريب الاب نقولا ابي هنا المخلصي
وهي ستة كتب مضبوطة اشعارها كلها بالشكل
الكامل ومعلق عليها شرح ضاف
٢٠ ثمن الكتاب الواحد
١٠٠ ثمن الستة معاً
- مجلة تجليداً بسيطاً ١٢٠
مجلة تجليداً ممتازاً ١٥٠
- ٣ مقالة في انتقال السيدة بجسدها الى السماء.
٧٤ معربة بقلم الاب انطون كيورك ب م
- ٤ التعليم الكاثوليكي للشرقيين
٥ الكتاب الاول للمستعدين للمناولة الاولى
١٥ الكتاب الثاني للاحداث
(الكتابان له ايضاً)
- ٥ لمحة من حياة المرحوم الاب اغناطيوس ظاهر المخلصي
٢٥ بقلم زميله الاب يوسف بهيت ب م
ويجسم ٢٥ بالمنة بالجملة

فهرست

الجزء الخامس ايلول سنة ١٩٣٦



صفحة

| | |
|-----|-------------------------------------|
| | سيرة المطران افثيموس صيني |
| ٣٣٠ | انتقال العذراء. |
| ٣٣٨ | ترجمة المرحوم جرجي بيطار |
| ٣٦٢ | الحياة الرهبانية |
| ٣٧١ | اعجوبة القربان المقدس |
| | اخبار رهبانية (ترجمة المثلث الرحمت |
| ٣٧٤ | الارشمندريت باسيلوس شحادة) |

